التعبير القرآني في قصة ذي القرنين

في ضوء علم اللغة النفسي

إعـداد

دكتورة/ مروة محمد عبد العظيم

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والآداب جامعة الجوف

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية الدراسات الإسلامية

والعربية -بني سويف- جامعة الأزهر

١٤٤٥ هـ- ٢٠٢٣م

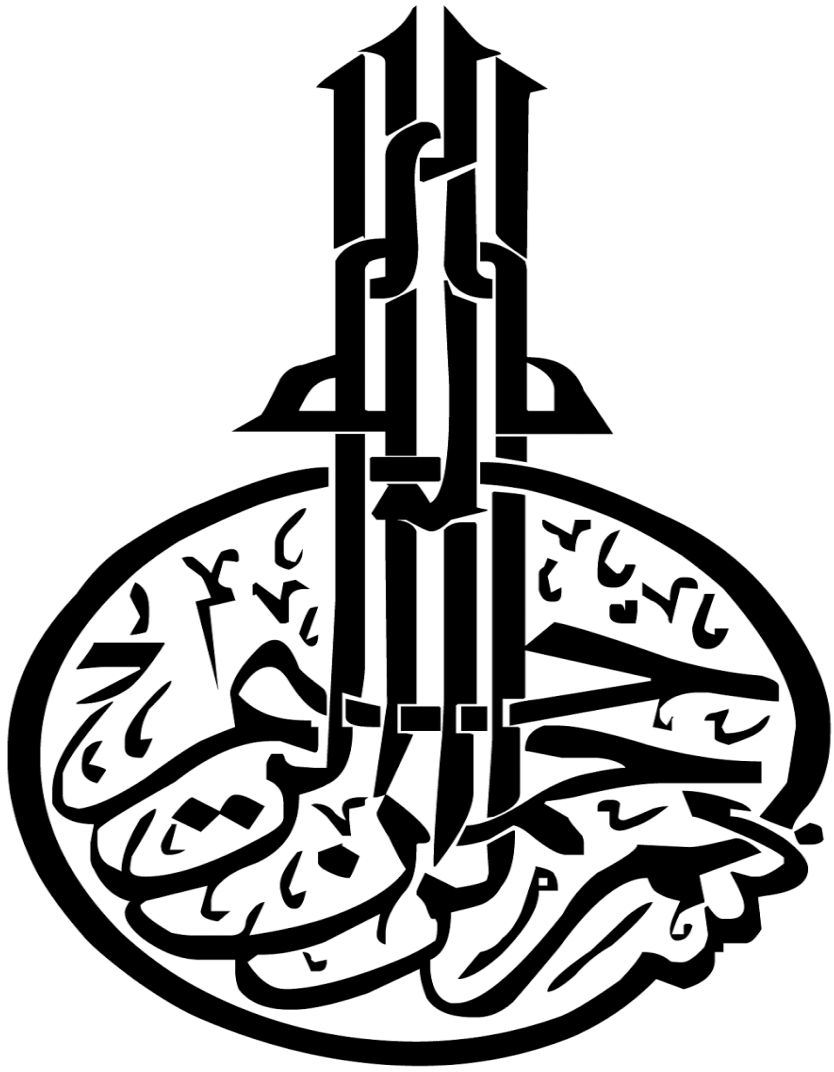

التعبير القرآني في قصة ذي القرنين - في ضوء علم اللغة النفسي

مروة محمد عبد العظيم
قسم أصول اللغة، كلية العلوم والآداب، جامعة الجوف، السعودية.
قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بني سويف، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: marwaelsherif8@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلىٰ دراسة التعبير القرآني في قصة ذي القرنين في ضوء علم اللغة النفسي، معتمدًا علىٰ المنهج الوصفي التحليلي، لتحليل آيات القصة، والوقوف علىٰ الدلالات النفسية والعاطفية فيها، ومن ثم فقد قمت بدراسة الجوانب الصوتية والصرفية والتركيبية بالقصة؛ لإبراز الدلالات النفسية التي تكمن خلف تلك الجوانب، وقد قدمت له بالحديث عن علم اللغة النفسي، ثم الجو النفسي العام للقصة، لما له من دور في إظهار الدلالات النفسية، وكان من أهم النتائج التي توصل البحث إليها: أن القرآن الكريم مشحون في كثير من سوره وقصصه بالعواطف والانفعالات، وتضافر الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية لإظهار الدلالات النفسية والعاطفية في آيات القصة.

الكلمات المفتاحية: التعبير القرآني – قصة ذي القرنين – علم اللغة النفسي.

The Quranic Expression in the Story of Dhul-Qarnayn in the Light of Psycholinguistics

Marwa Mohamed Abdel-Azim
Department of Language Fundamentals, College of Science and Arts, Al-Jouf University, Saudi Arabia.
Department of Language Fundamentals, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Beni Suef, Al-Azhar University, Egypt.
Email: marwaelsherif8@gmail.com

Abstract:

This research aims to study the Quranic expression in the story of Dhul-Qarnayn in the light of psychological linguistics, relying on the descriptive analytical approach, to analyze the verses of the story, and to focus on the psychological and emotional implications therein. Therefore, I have studied the phonetic, morphological, and syntactic aspects of the story; to highlight the psychological implications that lie behind those aspects. I have presented it by talking about psychological linguistics, then the general psychological atmosphere of the story, for its role in showing the psychological implications. One of the most important findings that the research reached is that the Holy Quran is charged in many of its surahs and stories with emotions and feelings, and the phonetic, morphological, and syntactic aspects are multiplied to show the psychological and emotional implications in the verses of the story.

Keywords: Quranic expression - The story of Dhul-Qarnayn -Psycholinguistics.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن ورفع به الإنسان وجعله نورًا للقلوب والأبدان، والصلاة والسلام علىٰ النبي الهادي العدنان، وآله، وصحبه، ومن سار علىٰ نهجه بإحسان.

وبعد:

فهذه دراسة لغوية تسعىٰ إلىٰ دراسة التعبير القرآني في قصة ذي القرنين في ضوء علم اللغة النفسي، وتهدف إلىٰ الوقوف علىٰ الجانب النفسي للدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية في قصة ذي القرنين؛ حيث تسلط الضوء علىٰ الأبعاد النفسية من خلال السياق القرآني، فالقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي أسراره، ولو كان مقصورًا علىٰ معنىٰ ظاهره لما تنافس العلماء بالازدياد منه، ومن ثم تمثل مظهرًا من مظاهر ربط الدراسات اللغوية عامة والدلالية خاصة بدراسة القرآن الكريم.

وأما عن اختياري لقصة ذي القرنين، فالسبب في ذلك يرجع إلىٰ أن القصة تفوح بالعديد من الدلالات النفسية والعاطفية التي تختبئ خلف الألفاظ.

وقد سبقت دراستي هذه بعدة دراسات، كان من بينها:

١. **الدلالات النفسية لبعض الآيات القرآنية في سورة يوسف -عليه السلام- دراسة موضوعية**، للباحثين محمد مصحب محمد جاسم، وماجد محمد خليفة [(١)].

٢. **الدلالة النفسية في سورة مريم**، للباحث عقيل عكموش عبد[(٢)].

٣. **التعبير القرآني والدلالة النفسية**، للباحث عبدالله محمد الجيوسي[(٣)].

---

(١) بحث منشور بمجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٥)، العدد السابع شوال ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

(٢) بحث منشور بمجلة القادسية في العلوم والآداب- جامعة القادسية ، العددان (٣- ٤) ، المجلد (٦)، ٢٠٠٧م.

(٣) كتاب منشور بدار الغوثاني دمشق، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٤. **لغة القرآن الكريم في قصة أصحاب الجنة دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي**، دكتورة/ سوسن الهدهد[١]

وتختلف دراستي هذه عن تلك الدراسات بأنها تختص بالكشف عن الجوانب النفسية في قصة ذي القرنين خاصة، وذلك عن طريق تسليط الضوء علىٰ الأبعاد النفسية في السياق القرآني في القصة المباركة.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن يكون هذا البحث مكونًا من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة، يليها ثبت بالمصادر والمراجع.

أما المقدمة: فقد تضمنت ماهية الموضوع وأهميته، والباعث علىٰ الموضوع ودوافعه، والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع هذا البحث، وخطتي في معالجة قضاياه.

وأما التمهيد: فعنوانه: " التعريف بمفاهيم البحث".

وفيه الحديث عن أمرين:

الأول: علم اللغة النفسي.

الثاني: الجو النفسي العام للقصة.

ثم كانت المباحث كما يأتي:

المبحث الأول: الدلالة الصوتية.

المبحث الثاني: الدلالة الصرفية.

المبحث الثالث: الدلالة التركيبية.

---

[١] بحث منشور بمجلة الزهراء- القاهرة ، العدد الثلاثون ٢٠٢٠م، الجزء الأول.

ثم كانت الخاتمة التي ضمنتها أهم النتائج التي تمخضت عنها الدراسة، ثم فهرس بكافة المصادر والمراجع التي اقتضاها البحث.

أما عن المنهج الذي التزمته وسرت عليه في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي؛ لبيان ما يحمله النص القرآني من دلالات نفسية وعاطفية، باعتبار أن هذه الدلالات جزءا لا يتجزأ من النظام اللغوي، وكذلك الوقوف علىٰ الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، ومدىٰ تأثيره في ذهن المتلقي.

والله أسأل أن تكون هذه الدراسة محاولة جادة لبيان شيء من أسرار التعبير القرآني، الذي لا تنتهي أسراره، والكشف عن جانب من جوانب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

التمهيد: التعريف بمفاهيم البحث

أولًا -علم اللغة النفسي:

يعد علم اللغة النفسي فرعا من فروع علم اللغة التطبيقي، وهو ثمرة الالتقاء الحقيقي بين علم اللغة وعلم النفس [١]، حيث يعنىٰ بدراسة ظواهر اللغة ونظرياتها وطرق اكتسابها من الناحية النفسية[٢]

وهو علم قديم في بحوثه، حديث في نشأته وفي استقلاليته، ومعنىٰ قولنا: قديم في بحوثه، أن بعض مباحثه قد أثيرت، حيث ورد في تراثنا العربي إشارات إلىٰ أهمية مراعاة الجوانب النفسية في دراسة اللغة؛ لأن العلاقة بين العوامل اللغوية والجوانب النفسية علاقة متبادلة، فالعلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق[٣]، وقد ربط العلماء قديمًا بين الألفاظ وما تتضمنه من دلالات نفسية [٤].

---

(١) ينظر: اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ص٤٨، دار النهضة العربية، الطبعة الأولىٰ.، وعلم اللغة النفسي في التراث العربي، د/ جاسم علي جاسم، ص٥٠٧، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٥٤.

(٢) علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، د/ جلال شمس الدين، ١/ ١٠، مؤسسة الثقافة الجامعية- الإسكندرية.

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفىٰ: ٤٧١هـ)، ٥٤، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٤) ينظر: الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، خالد بن حامد الحازمي، ٥٠٨، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد (١٢١)، السنة (٣٥) ١٤٢٤هـ.

ولذلك وجدنا شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني يرىٰ أن عملية النظم التي يتواصفها البلغاء، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجلها، إنما هي في ترتيب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس[١]، فاللغة مرآة صادقة تعكس ما بداخل النفس الإنسانية، إذ هي المقياس الأدق لتلك الاستجابات النفسية الداخلية التي لا يمكن ملاحظتها إلا بواسطة هذا السلوك اللغوي[٢]، ولذلك عد العلماء الألفاظ خدم للمعاني وتابعة لها[٣].

وكذلك عد الرافعي مراعاة القرآن الكريم لهذا الجانب وجهًا من وجوه إعجازه، حيث جعل من نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية، وأدار المعاني علىٰ سنن ووجوه تجعل الألفاظ كأنها مذهب هذه المعاني في النفس[٤]

كما أن علم اللغة النفسي علم حديث، حيث لم يتضح معالمه، ولم يستقل استقلالا تامًا إلا في النصف الثاني من القرن العشرين[٥]

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ٥١.

(٢) علم النفس اللغوي، د/ نوال محمد عطية، ص١٤، المكتبة الأكاديمية – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٩٥م.

(٣) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجي، ص٨٣، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م.

(٤) تاريخ آداب العرب، مصطفىٰ صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفىٰ: ١٣٥٦هـ)، ٢/ ١٧٣، دار الكتاب العربي.

(٥) علم اللغة النفسي، عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، ص ٢٥، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

وموضوع علم اللغة النفسي هو اللغة نفسها، والمراد بذلك دراسة اللغة دراسة تحليلية؛ إذ إن دراسة اللغة لا تقتصر علىٰ وصفها وصفًا شكليًّا ينحصر في الأصوات والنحو والصرف والدلالة، ولكن تتطلب الغوص في أعماق اللغة والبحث في جوانبها النفسية.

ولإدراك الدلالات النفسية للألفاظ والتراكيب، والتفاعل معها لابد من الوقوف علىٰ السياق العاطفي الذي ترد فيه الألفاظ، ولذلك ذهب اللغويون إلىٰ ضرورة مراعاة السياق العاطفي؛ لأنه هو الذي " يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالتها العاطفية...، ويحدد أيضًا درجة الانفعال قوة وضعفًا، إذ تنتقىٰ الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال" (١)

كل هذه الأمور تجعلنا ندرك أهمية مراعاة الجوانب النفسية عند دراسة اللغة عامة، ولغة القرآن الكريم خاصة، فألفاظ القرآن وآياته مشحونة بدلالات نفسية وعاطفية، ينهض بها المقام والسياق، وتشعر معها النفس بالإمتاع والارتياح وهذا هو ما سيحاول البحث الكشف عنه، من خلال المعايشة اللغوية لقصة ذي القرنين.

(١) ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص ٣٥٦،٣٥٧، دار الفكر – دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، علم الدلالة أحمد مختار عمر، ص٧٠، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٩٨م.

ثانيًا-الجو النفسي العام للقصة:

وردت قصة ذي القرنين في سورة الكهف، وتعد سورة الكهف من السور المكية[١]، وهي السورة الثامنة عشر تسبق سورة مريم وتلحق سورة الإسراء في ترتيب سور القرآن، وهي من السور المكية المتأخرة في النزول؛ إذ إن ترتيب نزولها التاسعة والستون.

وفيها ورد ذكر لمجموعة من القصص، وهي على الترتيب:

١. **قصة أهل الكهف:** وتحكي قصة الفتيان الذين فروا من ملكهم الظالم؛ ليحافظوا علىٰ دينهم، فلجأوا إلىٰ الكهف، وفي الكهف بعث الله- سبحانه وتعالىٰ - إليهم معجزة، فبقوا أحياء لثلاثمائة وتسع سنين، وحين أفاقوا وجدوا القرية كلها علىٰ ديانة التوحيد.

٢. **قصة صاحب الجنتين:** وتتحدث عن رجل أعطاه الله مالا كثيرًا فكفر بنعمة الله و تنكر للبعث فأهلك الله له الجنتين .

٣. **قصة موسى والخضر-عليهما السلام-:** وهي تحكي عن سيدنا موسىٰ –عليه السلام- الذي كان يظنّ أنه أكثر أهل الأرض علمًا ، فأوحىٰ الله - سبحانه و تعالىٰ- إليه بأنه يوجد من هو أكثر منه علمًا ، فذهب للقائه حتىٰ يتعلم منه.

٤. **قصة ذي القرنين**[٢]: التي تحكي عن الملك الصالح العادل الذي مكنه الله في الأرض فأقام ميزان العدل والإحسان، وعاش الناس في عهده حياةً آمنة مطمئنةً.

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفىٰ: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٣/ ١٧١، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠ هـ.

(٢) اختلف العلماء والمفسرون في ذي القرنين أكان نبيا أم ملكا؟، والأكثرون علىٰ أنه كان ملكا عادلا صالحًا، مكنه الله في الأرض فأقام ميزان العدل والإحسان، وحمل راية الحق، وعاش الناس في عهده حياةً آمنة مطمئنةً، ولم يتجاوز القرآن ذكر هذا الرجل بأكثر من لقبه الملك

ولسائل أن يسأل ما وجه مناسبة قصة ذي القرنين لما قبلها (قصة موسىٰ مع الخضر -عليهما السلام-)؟

ويمكن أن يجاب على ذلك: بأن القصتين حاصلهما واحد، وهو الطواف في الأرض، القصة الأولىٰ طواف لطلب العلم، والثانية طواف للجهاد، وقدم الأولىٰ إشارة إلىٰ علو درجة العلم؛ لأنه أساس كل سعادة، وقوام كل أمر(١).

بالإضافة إلىٰ التشابه بين القصتين في رعاية مصالح العباد وبخاصة الضعفاء منهم، ومنع الفساد في الأرض وإقامة الحق والعدل ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالىٰ(٢).

ووجه مناسبة هذه القصص جميعاً أنها تبرز العواصم من الفتن، والأخذ بالأسباب في النجاة من جميع الفتن، فتنة السلطان الذي اغتر بسلطانه وساوم فتية الكهف علىٰ الحق، محاولا إغراءهم بكل المغريات ، وفتنة الأهل والعشيرة التي

به إلىٰ تعيين اسمه وبلاده وقومه، وفي علَّة تسميته بذي القرنين أقوال منها: أنه دعا قومه إلىٰ الله تعالىٰ، فضربوه علىٰ قرنه فهلك، ثم بعثه الله، فدعاهم إلىٰ الله فضربوه علىٰ قرنه الآخر فهلك، فذانك قرناه، وقيل: سمي بذلك؛ لأنه سار إلىٰ مغرب الشمس وإلىٰ مطلعها، وقيل: لأنه رأىٰ في المنام كأنه امتد من السماء إلىٰ الأرض وأخذ بقرني الشمس، أو لأنه مَلَك الروم وفارس، أو لأنه كان في رأسه شبه القرنين، أوغديرتان من شعر..، وقيل: لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس، وهو حيّ، ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفىٰ: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٣/ ١٠٥، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤٢٢ هـ.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفىٰ: ٨٨٥هـ)، ١٢/ ١٢٨، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مصطفي مسلم، ص ٣٠٠، دار القلم – دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

تركها الفتية وأعرضوا عن كل الملذات وبعدوا بدينهم إلىٰ الكهف، وفتنة المال وفتنة الولد في قصة صاحب الجنتين الذي غره المال ولم يحمد الله – تعالىٰ – عليه، بل ازداد بطرًا، في حين نجح صاحبه في الابتلاء حيث عرف حقيقة هذه الدنيا الفانية، وفتنة العلم التي تمثلت في قصة موسىٰ والخضر -عليهما السلام-؛ حين ظن موسىٰ – عليه السلام- أنه أعلم أهل الأرض، فتبين له أن العَالِم مهما بلغ من العلم، فإن هناك من هو أعلم منه، فما أوتي من العلم إلا قليلا، وفتنة القوة والتمكين من خلال قصة ذي القرنين، وفتنة يأجوج ومأجوج ، كل ذلك يتناسب مع خواص السورة وفضائلها وعصمتها لتاليها من الفتن ، فعن أبي الدرداء-رضي الله عنه-، أن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-، قال: "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ"(١).

وقصة ذي القرنين تفوح بدلالات نفسية وعاطفية، فالمتأمل فيها يجد بها تفصيلا لبعض الرحلات التي قام بها ذو القرنين، واقتصر علىٰ ذكر ثلاث رحلات رئيسة لشعوب مختلفة:

الأولى: وفيها انطلق ذو القرنين إلىٰ مغرب الشمس مستعينًا بما هيأه الله له من أسبابٍ، فبلغ بجنوده أقصىٰ الغرب، ويظهر من خلال الآيات أن الهدف من الرحلة هو نشر الحق، وهداية الناس، وتحقيق العدل، وبذلك فهي تكشف عن صورة من صور الرحمة الربانية والعناية الإلهية، حيث تبيَّن فضلُ الله علىٰ البشرية وإرساله من

(١) حديث صحيح، أخرجه مسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسي)، حديث ٨٠٩.

ينشر الحق ويحقق العدالة بينهم، حتىٰ ولو كانوا في أبعد مكان، فقد هيأ لذي القرنين من الأسباب ما استطاع به أن يصل بجنوده إلىٰ أقصىٰ الغرب.

كذلك تبرز صورة من صور الرحمة البشرية تلك التي تمثلت في عدم التعجيل بإنزال العذاب بالظالمين وإمهالهم وقتًا حتىٰ تقام عليهم الحجج، فإن هم أصروا علىٰ كفرهم وظلمهم فقد استوجبوا العقاب ، وكذلك في الإحسان لمن آمن وأصلح كل ذلك ساقه القرآن في أسلوب قصصي يحفز الناس إلىٰ الصلاح والاستقامة والجد والاجتهاد، فالمؤمن المستقيم يجد الكرامة والود والقرب من الحاكم العادل، ويكون من بطانته وموضع عطفه وثقته ورعاية مصالحه وتيسير أموره، أما المعتدي المتجاوز للحد، الذي يريد الفساد في الأرض، فسيلقىٰ العذاب الرادع من الحاكم المقسط في الدنيا، ثم يرد إلىٰ ربه يوم القيامة ليلقىٰ العقوبة الأشد بما اقترفت يداه في حياته الأولىٰ [1].

والرحلة الثانية: وفيها سلك ذو القرنين طريقًا إلىٰ أقصىٰ الشرق؛ ليواصل مسيرته في حمل بشائر الخير ونشر مشاعل النور، وساق القرآن ذلك في أسلوب موجز، فبين حال أولئك القوم الذين وجدهم ذو القرنين عند أقصىٰ الشرق، ولم يحك ما فعله معهم؛ نظرًا لوضوح سياسته في الشعوب التي تمكن منها، فليس هناك حاجة إلىٰ تكرار إعلان مبادئه، فالملك العادل الصالح مبادئه واحدة لا تتغير، يلتزم بها أينما حل وارتحل ، واستطاع التعبير القرآني الموجز إثارة العقل وتحريك الذهن، وإمتاع النفس، عندما ذكر حال أولئك القوم الذين تطلع عليهم الشمس، وليس لهم ما يسترهم بإيجاز، فذهب المفسرون في ذلك مذاهب شتىٰ:

---

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٣٠٥.

فقيل: ليس لهم ما يسترهم، لا من البيوت ولا من اللباس، فـ " أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتمل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب"[(١)]، فهي أرض خالية من جميع مظاهر التمدن والرقي.

والرحلة الثالثة بلوغه بين السدين: وهي رحلة مختلفة عن الرحلتين السابقتين من حيث طبيعة الأرض، وسكان المنطقة، ومن حيث الأعمال التي قام بها.

أما الأرض فوعرة المسالك، وأما السكان فيعانون من المشقة في التفاهم والمخاطبة بحيث لا يكاد الإنسان منهم يقدر علىٰ التعبير عما في نفسه، ولا أن يفقه ما يحدثه به غير بني قومه [(٢)]، وكأن وعورة الأرض قد أثرت علىٰ طبائعهم وطريقة تخاطبهم مع غيرهم.

وأما الأعمال التي قام بها فلم يقتصر فيها علىٰ الأعمال الجهادية لكبح جماح الأشرار والمفسدين، بل قام بعمل عمران هائل [(٣)].

وكشفت لنا هذه الرحلة عن حرص هذا القائد علىٰ الأخذ بالأسباب، واجتهاده في تحصيلها وتطويرها وتطويعها؛ لتحقيق الهدف، ونيل المراد.

وكذلك أبرزت لنا جوانب من شخصية ذي القرنين، فكشفت عن عدله وحلمه وتواضعه وصبره عليهم فقد استمع لهم رغم أنهم لا يفقهون قولا ولم يعرض

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفىٰ: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٨/ ٩٩، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) ينظر: كتاب مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٣٠٦.

(٣) السابق، ص ٣٠٦.

عنهم، كما تكشف عن زهده وعزة نفسه ورفضه أخذ الجُعل والأجرة التي عرضها عليه القوم مقابل بناء سد يحميهم من الهجمات التي يقوم بها قوم يأجوج مأجوج، فلم يكن همه جمع المال، ولا العلو في الأرض، أنىٰ له ذلك وهو ملك عظيم آتاه الله القوة والحكمة، لم يستبح لنفسه أن يأخذ من أولئك المستضعفين الأموال.

كما يرشدنا التعبير القرآني إلىٰ جوانب نفسية خفية في هؤلاء القوم، فقد لمح ذو القرنين فيهم قوة، وذلك عندما طلب منهم مساعدته، وكأنه أراد بذلك إعادة الثقة في نفوسهم، تلك التي اهتزت جراء طغيان قوم يأجوج ومأجوج واعتدائهم عليهم، ففي أيديهم مال وفير وأيدي قوية، وليعلمهم أن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم، فلابد من تكاتف الجميع وأن يكونوا يدًا واحدة حتىٰ يكتمل الأمر.

كل هذه الدلالات النفسية والانفعالات الوجدانية ساقها القرآن في أسلوب قصصي تدور أحداثه حول قصة ذي القرنين، واقتصر علىٰ ما يفيد الأمة من هذه القصة عبرة حكمية أو خلقية[١]، فهي تذكير لهم بوجوب التوحيد، وترك عبادة الأوثان، وإقامة العدل، ونفع الناس بدل إيذائهم [٢].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفىٰ١٣٩٣هـ)،١٦/ ١٨، الدار التونسية – تونس١٩٨٤ هـ.

(٢) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفىٰ: ١٣٩٤هـ)، ٩/ ٤٥٧٧، دار الفكر العربي.

آيات قصة ذي القرنين:

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الكهف:٨٣-٩٨].

المبحث الأول: الدلالة الصوتية في قصة ذي القرنين

تعد الدلالة الصوتية أقوىٰ أنواع الدلالات[١]، حيث يراد بها ما تؤديه الأصوات المكونة للكلمات من دور في إظهار المعنىٰ، سواء كانت هذه الأصوات صوامت (consonants)أو صوائت (vowels) ، وكذلك تتحقق الدلالة الصوتية من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء، وهو ما يعرف بالعناصر الصوتية الثانوية التي تصاحب الكلمة المفردة، وذلك مثل المقاطع، والفواصل، وسنتعرض في هذا المبحث لكل هذه العناصر للربط بين الدلالات الصوتية المختلفة وبين الدلالات النفسية في قصة ذي القرنين.

المطلب الأول دلالة الصوامت والصوائت

أولا - دلالة الصوامت:

تنقسم الأصوات في اللغة إلىٰ صوامت وصوائت، فالصوامت هي الأصوات التي يحدث أثناء النطق بها انسداد جزئي أو كلي في مجرىٰ النطق، وأما الصوائت فهي التي تخرج دون أن يعترضها حاجز يسد مجرىٰ النطق أو يضيقه[٢].

وفيما يأتي إحصاء بعدد ورود كل من الصوامت والصوائت في قصة ذي القرنين لمعرفة النسيج الصوتي للألفاظ في القصة، وعلة شيوع استعمال بعض الأصوات وقلة استعمال أخرىٰ، ومدىٰ ارتباط ذلك بخصائصه الصوتية، وملائمته للجوانب النفسية بالقصة.

---

(١) نجدها عند ابن جني تحت اسم (الدلالة اللفظية)، وليس معنىٰ ذلك عدم أهمية الدلالات الأخرىٰ (كالصرفية والنحوية)، إذ إن لكل دلالة دور مؤثر في أداء المعنىٰ، ينظر: الخصائص، ٣/ ١٠٠.

(٢) ينظر: مبادئ اللسانيات، ص٩١، ١٣٢.

الصوت	عدد مرات التكرار	الصوت	عدد مرات التكرار
الهمزة	٤٣	الضاد	٢
الباء	٣٦	الطاء	٦
التاء	٢٠	الظاء	٢
الثاء	٣	العين	٢٨
الجيم	١٧	الغين	٦
الحاء	١٣	الفاء	١٩
الخاء	٥	القاف	٢٢
الدال	٢١	الكاف	١٤
الذال	١٧	اللام	٥٤
الراء	٢٨	الميم	٤٥
الزاي	٢	النون	٦٠
السين	٢٠	الهاء	٢٨
الشين	٣	الواو	٢٦
الصاد	٢	الياء	٣١

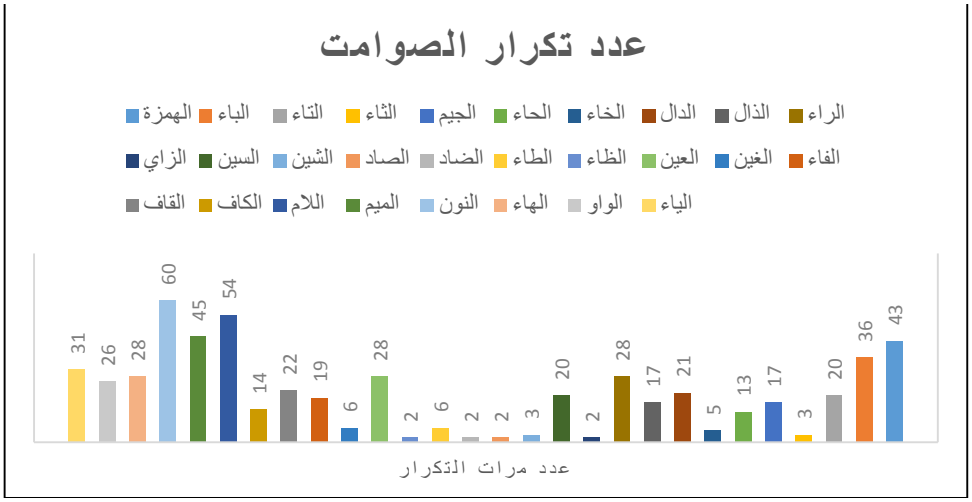

الصوائت الطويلة	عدد مرات التكرار
الألف	٨٦
الواو	١٨
الياء	١٣

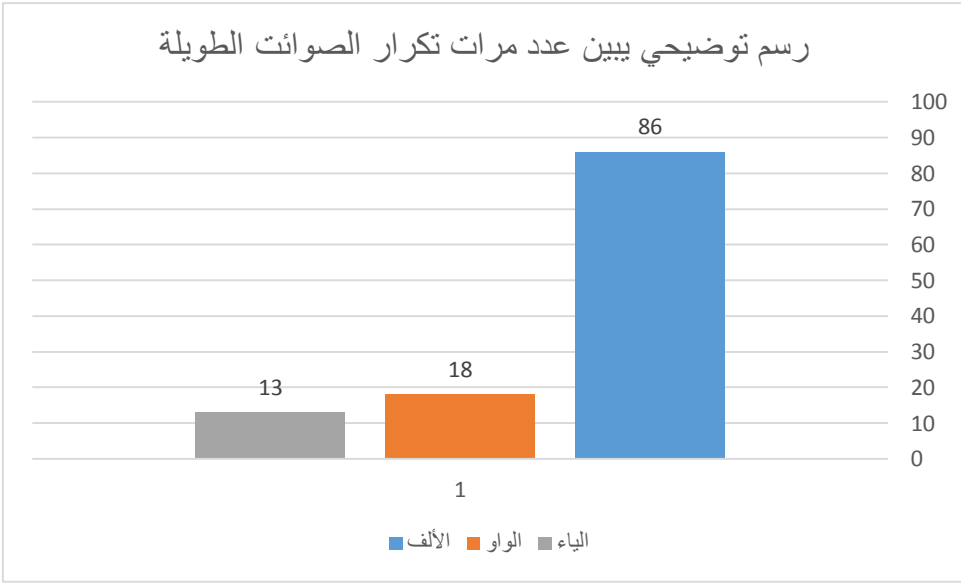

الملامح المميزة للصوامت وعلاقتها بدلالة الآيات:

أ. الأصوات المجهورة والمهموسة:

يعرف علماء الأصوات الصوت المجهور بأنه الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به، والصوت المهموس هو الصوت الذي لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق[(١)].

والأصوات المهموسة ثلاثة عشر صوتًا؛ هي: (الهمزة[(٢)]، التاء، الثاء، الحاء، الخاء، السين، الشين، الصاد، الطاء، الفاء، القاف، الكاف، الهاء)، بينما تضم الأصوات المجهورة خمسة عشر صوتًا، هي باقي أصوات العربية بعد استبعاد الأصوات المهموسة: (الباء، الجيم، الدال، الذال، الراء، الزاي، الضاد، الظاء، العين، الغين، اللام، الميم، النون، الواو، الياء).

والمتأمل في قصة ذي القرنين يجد كثرة وشيوع الأصوات المجهورة إذا ما قورنت بالمهموسة، فقد مثلت الأصوات المجهورة ثلاثة وخمسين وخمسمائة صوت مجهور في مقابل ستة وخمسين ومائة صوت مهموس.

---

(١) ينظر: علم الأصوات، دكتور كمال بشر، ص ١٧٤، دار غريب – القاهرة ٢٠٠٠م.

(٢) وقد عد بعض العلماء الهمزة صوتا لا بالمجهور ولا بالمهموس، وذلك لأن فتحة المزمار تنغلق معها ولا نسمع للوترين الصوتيين ذبذبة، ولا يسمح للهواء بالمرور إلا عندما تنفرج فتحة المزمار، ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص٩٠، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٥م.

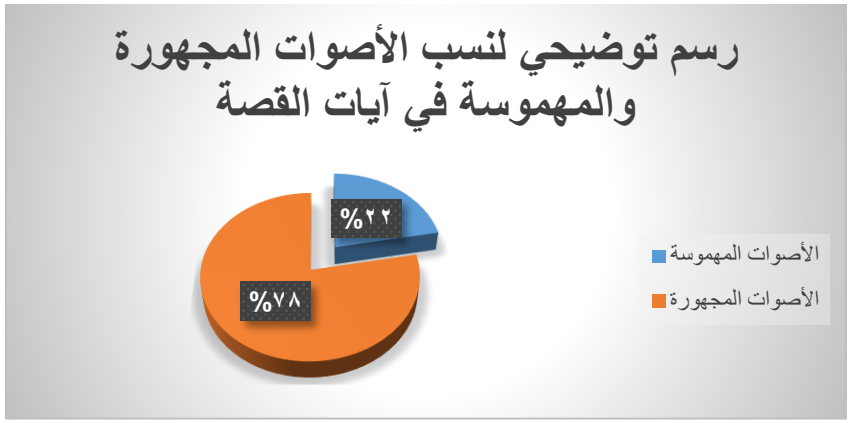

وتتميز الأصوات المجهورة بالقوة والوضوح السمعي، نتيجة لتقوية الضغط، ولذلك وصف سيبويه الصوت المجهور بأنه: "حرفٌ أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتىٰ ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"[(١)]، ونظرًا لوضوحه السمعي يسمع الصوت المجهور من مسافة قد يخفىٰ عندها المهموس[(٢)]، ففي البيئة الصحراوية التي تنتشر فيها الأصوات في مسافات شاسعة لا يعوقها عائق، ولا يحول دونها حائل، يُلجأ إلىٰ توضيح الأصوات بطرق عدة من بينها الجهر بالصوت ليصبح أكثر وضوحًا في أذن

(١) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه(المتوفىٰ: ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ٤/ ٤٣٤، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٢) في اللهجات العربية، ابراهيم أنيس، ص٩٠، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثامنة ١٩٩٢م.

السامع[١]، ولذلك رأىٰ العلماء أن الأصوات المجهورة تكسب اللغة موسيقيتها ورنينها[٢].

وهذا الوضوح السمعي التي تتميز به الأصوات المجهورة يستمد كذلك من الدلالة اللغوية لمادة (جـ هـ ر) ، وهي إعلان الشيء وكشفه وعلوه[٣].

وتتراوح الأصوات المجهورة في درجة الجهر، فالراء أكثر الأصوات الصامتة جهرًا، يليها الأصوات الأنفية (الميم والنون)، وأقل الصوامت جهرًا هي: الدال والذال والباء[٤].

وعليه فالقوة والوضوح السمعي الذي تتصف به الأصوات المجهورة يتناسب مع:

١. قوة وعظمة الله – تعالىٰ –، وعظمة ما وهبه لذي القرنين من ملك وسلطانٍ وتمكينٍ في الأرض، ولهذا بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد.

٢. شهرة ذي القرنين وذيوع صيته بين الناس دل علىٰ ذلك السؤال عن حاله، والجواب عن السؤال بذكر شأنه لا تعريف شخصه، قال تعالىٰ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾، ولكن قصته كان

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ١٤٧، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٦م.

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢١.

(٣) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفىٰ: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (جـ هـ ر)، ١/ ٤٨٧، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٤) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث ، حسام البهنساوي، ٦٢، زهراء الشرق– القاهرة، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٥م.

يحيطها الغموض والاختلاف؛ لذلك طلب اليهود من قريش سؤال رسول الله –صلىٰ الله عليه وسلم– عنها.

٣. قوة عزيمة ذي القرنين وعلو همته لبلوغ الأهداف، فقد طاف في الأرض، حتىٰ بلغ مشارق الأرض ومغاربها.

٤. وضوح توكل ذي القرنين علىٰ الله، واليقين في الله تعالىٰ، وأخذه بالأسباب، فالأخذ بالأسباب من تمام التوكل علىٰ الله.

٥. وضوح رسالة ذي القرنين، فقد كانت رحلاته دعوية إصلاحية.

٦. إعلان ذي القرنين دستوره في البلاد التي دخلها، عندما بين أن للمعتدين الظالمين العذاب في الدنيا والآخرة، وأما المؤمنون الصالحون فلهم الجزاء الحسن، والمعاملة الطيبة.

٧. قوة إيمان ذي القرنين وربطه الأعمال بمشيئة الله، ظهر ذلك بوضوح في قوله: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾، وقوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾.

ب. الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة:

وقد سمىٰ المحدثون الأصوات الشديدة بالأصوات الوقفية حيث يوقف قبل نطقها تيار النفس ثم يطلق، ويصاحب تسريع تيار النفس انفجار؛ ولذلك تسمىٰ أيضا بالأصوات الانفجارية، والحروف الانفجارية ثمانية، هي: (الهمزة، الباء، التاء، الدال، الضاد، الطاء، القاف، الكاف) [١]، بينما يطلق المحدثون علىٰ الأصوات الرخوة اسم الأصوات الاحتكاكية، وذلك لأنها تنشأ بتضييق الممر مع استمرار خروج الهواء محدثًا ذلك الحفيف المسمىٰ بالاحتكاك ، والاحتكاكيات في

---

[١] الأصوات اللغوية، محمد علي الخولي، ص ٣٧، دار الفلاح–عمان الأردن ١٩٩٠م.

اللغة العربية، هي: (الثاء، الذال، الظاء، الحاء، العين، الميم، الهاء، الخاء، الغين، الشين، السين، الزاي، الصاد) [١].

وأما الأصوات المتوسطة فهي ليست انفجارية ولا احتكاكية ، وإنما هي بين الانفجارية والاحتكاكية، وهي : (الميم، والنون، واللام ، والراء) وتعرف أيضًا بالأصوات المائعة[٢].

والمتأمل في قصة ذي القرنين يلاحظ كثرة وشيوع الأصوات المتوسطة مقارنة بالأصوات الوقفية والاحتكاكية ، حيث مثلت الأصوات المتوسطة بالقصة سبعًا وثمانين ومائة ، بينما مثلت الأصوات الانفجارية ثلاثًا وأربعين ومائة، والاحتكاكية ستا وستين ومائة ، وفيما يأتي رسم توضيحي يبين نسب ورود تلك الأصوات في آيات القصة.

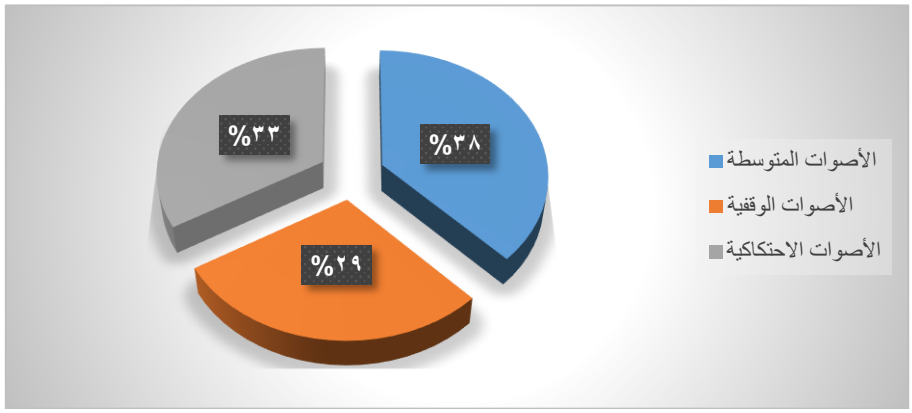

(١) علم الصوتيات ، د/ عبد العزيز علام، وعبد الله ربيع، ص ٢٦٦، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٤م، الدراسات الصوتية، حسام البهنساوي، ٤٩.

(٢) مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص ١٢٢، دراسات في علم الأصوات، حسام البهنساوي، ٥٩، ابن رشد- الفيوم.

وتتميز الأصوات المتوسطة بقوتها التصويتية العالية؛ لأنّها تتمتع بخاصية الجهر، وتكاد مع الصوائت والأصوات الانتقالية تشكل نسبة عالية للقوة الإسماعية الصوتية[١] ، فهي تعد حلقة وسطىٰ بين الأصوات الساكنة والصوائت، ففيها من صفات الأولىٰ، أن مجرىٰ النفس معها تعترضه بعض الحوائل، وفيها أيضا من صفات الصوائت أنّها لا يكاد يسمع لها أي نوع من الحفيف ، وأنّها أكثر وضوحًا في السمع[٢].

كما توصف تلك الأصوات بأنها ممتدة[٣]، أي: " يدوم نطقها ما أسعف النفس" [٤]؛ لأن الهواء أثناء الوقوف يخرج حرًا طليقًا من جانبي الفم في حال الأصوات الجانبية (اللام)، ومن الأنف في حال الأصوات الأنفية (الميم، والنون)، ومن الفم وإن جاء متقطعًا في حال الراء. [٥]

هذا الامتداد والاستمرار في الأصوات المتوسطة يحاكي:

١. استمرار رحلات ذي القرنين الدعوية الإصلاحية ، واستمراره علىٰ عزيمته لبلوغ أهدافه، فاستطاع أن يبلغ ملكه أقصىٰ المشرق والمغرب.

---

(١) علم الصرف الصوتي، ص ٨٥.

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢٧.

(٣) علم الأصوات، كمال بشر، ص١٩٩

(٤) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران ، ١٤٩، دار الفكر العربي، الطبعة: الثانية – القاهرة ١٩٩٧، الأصوات اللغوية، محمد الخولي، ص٤٣.

(٥) علم الأصوات، كمال بشر، ص٢٠٠.

٢. استمرار أخذ ذي القرنين بالأسباب وتوكله علىٰ الله وبذل الجهد المستطاع.

٣. استمرار قوم يأجوج ومأجوج في صعود السد واستمرار محاولات نقبه ، تلك المحاولات التي لا تنقطع حتىٰ يأتي وعد الله، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ ، وروي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلّم– قال: "إِن يأجوج ومأجوج ليَحفرون السدَّ كل يوم، حتىٰ إِذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غدًا، فيعودون إِليه، فيرونه كأشد ما كان، حتىٰ إِذا بلغت مدّتهم، وأراد الله –عزّ وجلّ –أن يبعثهم علىٰ الناس، حفروا، حتىٰ إِذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذين عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غدًا إِن شاء الله، ويستثني، فيعودون إِليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون علىٰ الناس"[(١)].

ج. الأصوات المطبقة والمنفتحة:

يعرف علماء الصوتيات الإطباق بأنه: ارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق[(٢)]، حتىٰ يصير كالطبق له[(٣)]، والأصوات المطبقة أربعة، هي: (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء).

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٣/ ١١٠/ ١١١.

(٢) مبادئ اللسانيات، ١٢٧.

(٣) حيث يرتفع اللسان من الخلف، ومن الأمام، ويعقب ذلك انخفاض في وسطه ، فيصبح مثل الطبق، ينظر: عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، د/ عبد العزيز علام، ص٨٩، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٠م.

والانفتاح: عدم ارتفاع اللسان إلىٰ أعلىٰ الحنك، وحروفه عدا السابقة [١].

ويلاحظ في قصة ذي القرنين كثرة وشيوع الأصوات المنفتحة، حيث مثلت ثمانية وسبعون وستمائة صوتا، في حين اشتملت القصة علىٰ اثنىٰ عشر صوت من الأصوات المطبقة.

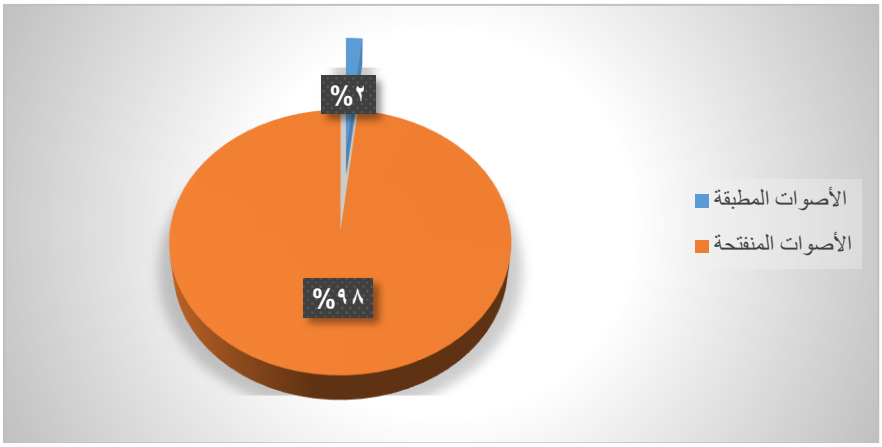

هذا الانفتاح الذي اتصفت به الأصوات الواردة في القصة يتناسب مع:

١. انفتاح ذي القرنين علىٰ العالم حوله، فقد اشتهر عنه بأنه طوّاف في الأرض، اتضح ذلك من خلال الفتوحات التي قام بها، فلم يكتف برحلة واحدة وإنما توسع حتىٰ استطاع أن يصل إلىٰ أقصىٰ المشرق والمغرب.

٢. انفتاح الأرض التي يعيش عليها أولئك القوم الذين وُجدوا عند مطلع الشمس، فلم يكن بينهم وبين الشمس ستر، قال تعالىٰ: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾، فقد روي أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر،

---

[١] ينظر: التجويد والأصوات، إبراهيم محمد نجا، ص ٧٦، دار الحديث- القاهرة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ولا تحتمل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب(١).

٣. الانفتاح الذي بين السدين الذي كان يتسرب منه قوم يأجوج ومأجوج ذلك الذي أقام فيه ذو القرنين سدا منيعًا نزولا علىٰ رغبة القوم.

د. الأصوات المستعلية والمستفلة:

المتأمل في آيات قصة ذي القرنين يجد كثرة الأصوات المستفلة إذا ما قورنت بالأصوات المستعلية، حيث بلغت الأصوات المستفلة خمسًا وأربعين وستمائة صوت، في حين مثلت الأصوات المستعلية خمسا وأربعين صوتا.

والاستعلاء هو ارتفاع اللسان إلىٰ أعلىٰ الحنك عند النطق بالحرف(٢)، وقيل: هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو اللهاة أثناء النطق بالحرف، فيخرج الصوت غليظًا مفخمًا(٣)، وهي مجموعة في قولهم: (خص ضغط قظ)، والاستفال: هو عدم ارتفاع اللسان إلىٰ أعلىٰ الحنك(٤)، وقيل: هو: " انحطاط اللسان عند خروج الحرف عن الحنك إلىٰ قاع الفم"(٥) ، وحروفه ما عدا حروف الاستعلاء.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن،١٨/ ٩٩.

(٢) ينظر: التجويد والأصوات، ص ٧٦.

(٣) دراسات في علم الأصوات، حسام البهنساوي، ص ٦٣.

(٤) ينظر: التجويد والأصوات، ص ٧٦.

(٥) نهاية القول المفيد، محمد مكي نصر، ص ٥٠، طبعة الحلبي ١٣٤٩هـ.

وتنبثق من الصوامت المستفلة دلالات الانكسار والانقياد والانخفاض والتواضع، وهي بهذا تحاكي:

١. تواضع ذي القرنين وعدم تجبره واستعلائه في البلاد، رغم قوته وسيطرته عليها، فلم يستغل فتوحاته وسيلة في التجبر علىٰ رقاب الضعفاء.

٢. انقياد الأقوام وانصياعهم التام لذي القرنين وتذللهم بين يديه .

٣. حالة الانكسار النفسي التي وصل إليها القوم بسبب كثرة الهجمات والاعتداءات التي كان يقوم بها يأجوج ومأجوج، وهم لا يقدرون علىٰ دفعهم وصدهم، تلك الحالة التي دفعتهم إلىٰ عرضهم علىٰ ذي القرنين المال مقابل الخلاص من قوم يأجوج ومأجوج.

٤. انحطاط واستفال قوم يأجوج ومأجوج ظهر ذلك من خلال التعبير عنهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، فقد قيل عنهم: أنهم كانوا يأكلون الناس، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئًا أخضر إلا أكلوه، ولا يابسًا إلا احتملوه، وكانوا يلقون منهم قتلا، وأذىٰ شديدًا[١].

فضلا عن أن تواجد مجموعة من الأصوات المستعلية في آيات القصة، وما يستنبط منها من دلالات العلو، والسمو، تضارع سمو ذي القرنين بنبل خلقه وترفعه عن أخذ الأجرة مقابل بناء السد.

هـ. الأصوات المذلقة والمصمتة:

والأصوات المذلقة هي الأصوات التي تخرج من طرف اللسان وما يليه من الشفتين[٢]، وهي ستة أحرف هي: (الميم ، الراء، الباء، النون، الفاء، اللام) والمصمتة ما عدا ذلك.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفىٰ: ٥٣٨هـ)، ٢/ ٧٤٦، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

(٢) عن علم التجويد القرآني، ص ٩٥.

وإذا تتبعنا آيات قصة ذي القرنين نجدها اشتملت علىٰ عدد كبير من الأصوات المذلقة، حيث بلغت اثنين وأربعين ومائتي صوتا، وهي نسبة كبيرة إذا ما قورن عدد الأصوات المذلقة في العربية بعدد الأصوات المصمتة.

وتتسم الأصوات المذلقة باليسر في نطقها، والسهولة في إنتاجها[1]، حيث يخرج الهواء بيسر وطلاقة دون انحصار كبير أثناء إنتاجها أو حدوث انقباض لأعضاء النطق، وبذلك فهي تحاكي:

١. سهولة عطاء الله -سبحانه وتعالىٰ - فقد مكن لذي القرنين في الأرض، وآتاه ما لم يؤته أحدًا، ويسر له تلك الرحلات .

٢. سهولة إزالة السد الحصين المنيع علىٰ الله ومساواته بالأرض كأن لم يكن، عندما يحين ميقات ظهور قوم يأجوج ومأجوج وخروجهم من وراء هذا الردم.

٣. تيسير الله علىٰ الأمة ورحمته بهم، وإرساله في كل زمان من يقوم علىٰ مصالحهم وخدمتهم وإعطاءه الأدوات التي تساعده علىٰ ذلك، فإرسال ذي القرنين للأقوام الثلاثة التي حكىٰ عنها القرآن رحمة من الله بهم.

٤. الراحة النفسية التي يرفل في ظلها المؤمنون، قال تعالىٰ: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ وكذلك توحي بحالة الانشراح والطمأنينة التي عاش فيها القوم بعد بناء السد.

---

[1] الفكر الصوتي عند العرب دراسة تحليلية، عبد المنعم عبد الله محمد، ١٢٢، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ثانيًا - دلالة الصوائت:

الأصوات الصائتة هي أصوات ليس لها مكان نطق محدد، ولا يحدث معها إغلاق أو تضييق لمجرىٰ الهواء، والصوائت في العربية ستة، هي: الفتحة والضمة والكسرة، والفتحة الطويلة، والضمة الطويلة، والكسرة الطويلة [١].

وعرفها دانيال جونز بأنها أصوات مهتزة يخرج الهواء عند النطق بها بصفة مستمرة، دون وجود عقبة تعوق خروجه، أو تسبب فيه احتكاكًا مسموعًا؛ ولذلك وصفت الصوائت كلها بأنها مجهورة[٢].

وإذا تتبعنا آيات القصة نجد كثرة وشيوع الصوائت الطويلة، وهي: (الألف، والواو، والياء)، حيث مثلت أربعا وسبعين ومائة، فقد وردت الألف ستا وثمانين مرة، والواو ثماني عشرة مرة ، والياء ثلاث عشرة مرة، وهذا يعني أن نسبة ورود الألف خمسين في المئة من جملة الصوائت الطويلة.

الملامح المميزة للصوائت وعلاقتها بدلالة الآيات:

تمتاز الصوائت من الصوامت بوضوحها السمعي، وكثرة دورانها في الكلام [٣]، واتساع مجرىٰ الهواء؛ لعدم وجود عائق عند النطق بها[٤]، يقول ابن جني: "والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو، وأوسعها

---

(١) الأصوات اللغوية، محمد الخولي، ص ٣٩.

(٢) علم الصوتيات، ص ١٨٥.

(٣) مبادئ اللسانيات، ص ١٣٢.

(٤) ينظر: علم الأصوات ، ص٣٥٨، الفكر الصوتي عند العرب ، ص ١٢٢.

وألينها الألف "[1]؛ فمع الألف نجد الحلق والفم منفتحين، غير معترضين علىٰ الصوت بضغط أو حصر[2] ، وهذا يفسر كثرة ورودها في قصة ذي القرنين عن كل من الياء والواو، فالسعة التي في الألف تتناسب مع :

١. سعة رحمة الله بعباده، وإرساله من يقوم علىٰ مصالحهم.

٢. سعة صدر ذي القرنين، وعدم الانغلاق علىٰ الذات في البلاد التي فتحها، ظهر ذلك واضحًا في الاستماع إلىٰ القوم، وعدم الإعراض عنهم، رغم عدم فهمهم لكلام أحد، وعدم فهم الناس لكلامهم، فقد وصفهم القرآن بقوله: ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾، وهذا هو ما ينبغي أن يتصف به الحاكم العادل.

والوضوح، والاستمرارية، والجهرية الذي تتصف به تلك الأصوات ناسب أحداث القصة من حيث:

١. وضوح رحمة ذي القرنين وحلمه وعدله في البلاد التي دخلها، يتضح ذلك من خلال إمهاله المعتدين الظالمين وقتًا يعودون فيه للحق وعدم التعجيل بعذابهم.

٢. وضوح قوة إيمان ذي القرنين، ظهر ذلك جليًّا في آيات القصة من خلال التذكير بالله-عز وجل- ورده الأمور كلها إليه.

٣. وضوح نهج ذي القرنين ووضوح هدفه.

وفي الواو بعض الضيق الناتج عن تضييق المجرىٰ، يقول ابن جني: " أما الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج، ليخرج فيه النفس، ويتصل

---

(١) سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، ١/ ٢١، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) سر صناعة الإعراب، ١/ ٢١..

الصوت"[١]، هذا الضيق يتناسب مع الضيق النفسي الذي أحس به القوم جراء الهجمات وعمليات الإفساد التي كان يقوم بها قوم يأجوج ومأجوج، مما دفع أولئك القوم إلىٰ أن يفرضوا علىٰ أنفسهم أن يدفعوا خراجًا من أموالهم مقابل الخلاص منهم.

وهكذا نجد أن الأصوات جميعها من صوامت وصوائت قد تعاضدت؛ لتناسب وتحاكي الأجواء والحالات النفسية المتباينة في قصة ذي القرنين من حيث القوة والضعف والشدة واللين.

(١) سر صناعة الإعراب، ١/ ٢١...

المطلب الثاني: دلالة المقاطع

المقطع هو: تتابع من الأصوات في تيار الكلام له حد أعلىٰ، أو قمة إسماع تقع بين حدين أدنيين من الإسماع[١].

أو هو "مجموعة من الأصوات اللغوية تشتمل علىٰ حركة واحدة one Vowel".[٢]

وللمقطع أهمية كبرىٰ؛ لأن الفونيمات لا حياة لها إلا في داخل المقاطع، فهي لا تنطق من المجموعة البشرية بشكل منفصل، وإنما علىٰ شكل تجمعات ، فصفاتها وخصائصها، وكيفية انتظامها في مقاطع يعتمد علىٰ المقطع وتشكيلاته الصوتية [٣]، وكذلك للمقطع قيمة إشارية في إنتاج الدلالة وتكوينها، حيث يعد نافذة نطل من خلالها علىٰ ما في الخطاب من قيم ومعان نفسية، فضلا عن أنه يرفد الخطاب بإيقاع معبر مناظر للمحتوىٰ والجو والموقف[٤].

فالمقاطع تعتمد علىٰ الإيقاع التنفسي، وهو عبارة عن ضغطات من الحجاب الحاجز علىٰ هواء الرئتين التي تولد هذه الإيقاعات[٥]، ومن ثم فهي تتناسب مع الدفقات الشعورية والنفسية .

---

(١) الدراسات الصوتية، ١٤٢ .

(٢) علم الصوتيات، عبد العزيز علام، عبد الله ربيع، ص ٢٧٩، الطبعة الثالثة.

(٣) علم الصرف الصوتي، ص ٩٩.

(٤) بنية التشكيل الصوتي للآيات الواصفة لعباد الرحمن، فخرية غريب قادر، ص٣٦٨، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد ، المجلد ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٣م.

(٥) من الصوت إلىٰ النص، مراد عبد الرحمن مبروك، ص ٣٤، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولىٰ١٩٩٣م.

لذا لوحظ في آيات القصة كثرة شيوع المقاطع القصيرة، حيث مثلت سبعا وثلاثين ومائتي مقطع، يليها المقاطع المتوسطة المغلقة، حيث بلغت أربعين ومائة مقطع، ثم المقاطع المتوسطة المفتوحة، والتي مثلت سبع وتسعين مقطعا، وفيما يأتي توضيح ذلك:

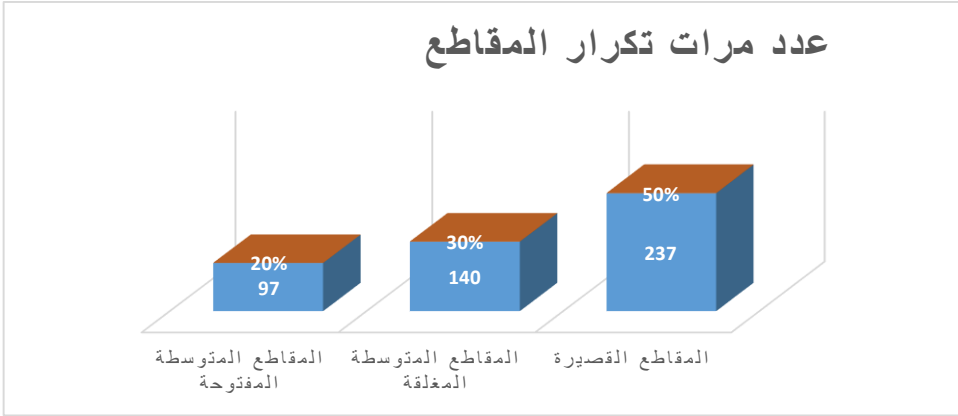

الملامح المميزة للمقاطع وعلاقتها بدلالة الآيات:

أولا: المقاطع القصيرة:

وتتكون من صوت صامت + حركة قصيرة (ص ح)[١]، وتتسم بوضوحها السمعي العالي وتنتج بمدة زمنية قصيرة ، ومن ثم فقد جاءت متناسبة مع الحالات الشعورية المتباينة في آيات القصة، إذ إن حالات الانفعال، أو حالات العجز والانكسار التي تمر بها الشخصيات تجعلها تأتي بكلمات متقطعة إلىٰ مقاطع جزئية حتىٰ تتناسب والحالة الشعورية[٢].

وعند تطبيق ذلك على أحداث القصة نجد أن المقاطع القصيرة جاءت لتحاكي:

---

(١) علم الأصوات، كمال بشر، ص ٥١٠.

(٢) من الصوت إلىٰ النص، ص ٣٥.

١. حالة العجز التي أحس بها القوم الذين كانوا بين السدين، نلمح ذلك من خلال عجزهم عن بناء السد وعن فهم غيرهم، وعجزهم عن إفهام غيرهم مرادهم، يقول القشيري: " ما كانوا يهتدون إلا إلىٰ لسان أنفسهم، وما كانوا يَفقهون فقه غيرهم "[(١)]، ولذلك كان طلبهم من ذي القرنين بناء السد مقابل المال نتيجة لإحساسهم بالعجز.

٢. حالة الانكسار التي أحسوا بها، وذلك من خلال الاعتداءات التي كان يقوم بها قوم يأجوج ومأجوج، فكثرة الاعتداءات وعجزهم عن دفع يأجوج ومأجوج ولد عندهم حالة من الانكسار والضعف، والتهدج النفسي.

٣. ترتبط المقاطع القصيرة دلاليا بمفهوم السرعة والخفة واليسر، وهي تضاهي بذلك حالة الحيوية والنشاط التي يتمتع بها ذو القرنين في حملاته.

ثانيًا: المقاطع المتوسطة المغلقة:

وتتكون من صوت صامت+ حركة قصيرة+ صوت صامت (ص ح ص)[(٢)]، وهي عبارة عن ضغوطات (خفقات صدرية)[(٣)]، يستغرق نطقها زمنًا أقل من زمن المقطع الطويل، ويصطدم الهواء المتدفق من التجويف بقوة بالصامت؛ لذا فإنها توحي بالثقل أو القوة أو الرد، والردع، والوقف، والصد، والإعراض،

---

(١) لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥ هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ٢/ ٤١٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

(٢) علم الأصوات، كمال بشر، ص ٥١٠.

(٣) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص ١٣٨، مكتبة الأنجلو المصرية.

والانغلاق كل هذه الدلالات مستمدة من حبس الصامت الساكن الهواء الصادر من الرئتين وإيقافه إياه[١]، ومن ثم فقد جاءت لتضارع:

١. حالة الصد والإعراض التي وجدها ذو القرنين من بعض القوم، عندما بلغ مغرب الشمس، يدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾، فلا شك أن من يصر علىٰ كفره، ويستمر علىٰ ظلمه الذي هو الشرك معرض يصد عن سبيل الله.

٢. السد الذي أنشأه ذو القرنين؛ لحماية القوم وصد هجمات يأجوج ومأجوج، فناسبت ما يتسم به السد من الصلابة والقوة.

٣. انغلاق الطريق أمام قوم يأجوج ومأجوج ببناء السد المرتفع الصلب، فلم يستطيعوا أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه، ولا أن ينقبوه لصلابته إلىٰ أن يأتي وعد الله، قال تعالىٰ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾.

٤. كما أن الثقل والقوة في المقاطع المغلقة تتناسب مع شدة العذاب وقوته الذي توعد به ذو القرنين الظالمين المعتدين.

٥. امتناع ذي القرنين عن أخذ الجُعل الذي عرض عليه مقابل بناء السد.

---

(١) بنية التشكيل الصوتي للآيات الواصفة لعباد الرحمن، ص٣٦٩، ٣٧٧.

ثالثًا: المقاطع المتوسطة المفتوحة:

وتتكون من صوت صامت + حركة طويلة (ص ح ح)[1]، وعند النطق بها يخرج الهواء بطلاقة وانسيابية من التجويف الداخلي من غير وجود عائق أو صد؛ لذا فهي تتميز بالسعة والانفتاح ، والامتداد ؛ لأنها تنتهي بحركات طويلة تستحوذ علىٰ أطول فترة زمنيَّة ممكنة في النطق.

فالسعة والانفتاح والامتداد في المقاطع المتوسطة المفتوحة جاء ليحاكي:

١. انفتاح الأبواب أمام ذي القرنين، بسبب تمكين الله له في الأرض، وإتيانه من كل شيء من الأمور التي يتوصل بها إلىٰ تحصيل ذلك، فللتمكين أسباب متىٰ وجدت الأسباب كان التمكين في الأرض وقيادة الأمم.

٢. زوال السد وانفتاح الطريق أمام قوم يأجوج ومأجوج إذا جاء الميقات الذي حدده الله لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم.

٣. انفتاح أبواب الرحمة والإحسان أمام المؤمنين الصالحين، وضح ذلك في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾، حيث جعل لهم الجزاء الحسن، والمعاملة الطيبة، والتكريم والمعونة والتيسير، وكل ما يمكن أن يدخل تحت الجزاء الحسن.

٤. كما يتناسب الانفتاح مع حالة القوم الذي وجدهم ذو القرنين عندما بلغ مطلع الشمس، ولم يكن بينهم وبين الشمس ستر.

---

(١) علم الأصوات، كمال بشر، ص ٥١١.

٥. كذلك أسهمت المقاطع المفتوحة بما تمتلكه من سمات القوة والحركة والسيطرة، في إبراز المعنىٰ العام، حيث تطابقت مع صفات ذي القرنين، الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها، واستطاع أن يسيطر علىٰ الأمم بقوته في البلاد التي فتحها، وكذلك بفكره وعقله من خلال بناء السد الذي يعد إعجازًا علميًا يسجله القرآن الكريم لذي القرنين، حيث عرف بعد ذلك أن عنصر الحديد المنصهر مع القطران (النحاس) يعطيان تركيبة قوية لها صلادة عالية جدًا.

٦. ناسبت المقاطع المفتوحة التأوهات الصادرة عن النفوس المتألمة بسبب إفساد قوم يأجوج ومأجوج في الأرض، فخرجت من الأعماق.

ويضاف إلىٰ ما سبق ما تتميز به المقاطع المفتوحة من الانطلاقة الحُرَّة للصوت، وامتداد الأصوات نهايتها، حيث يخرج الهواء "بطلاقة وانسيابية من التجويف الداخلي من غير إعاقة ولا صد"[(١)]، فجاءت لتحاكي الانطلاقة الحرة في رحلات ذي القرنين من جهة، كما تحاكي طول الرحلات من جهة أخرىٰ.

وإذا نظرنا إلىٰ المقاطع من حيث القصر والطول نجدها متساوية في آيات القصة، حيث بلغت المقاطع القصيرة سبعا وثلاثين ومائتي مقطعا، وهي نفس عدد المقاطع المتوسطة إذا أضفنا المقاطع المفتوحة مع المغلقة، هذا التساوي ما هو إلا انعكاس لحالة التوازن والوسطية التي اتسم بها ذو القرنين عندما أعلن دستوره في البلاد المفتوحة، فالتساوي الحاصل مُظهر بينية واعتدال نهجه.

(١) بنية التشكيل الصوتي للآيات الواصفة لعباد الرحمن، ص٣٧٨.

المطلب الثالث دلالة الفاصلة

الفواصل هي حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني[١]، وعرفها الزركشي بأنها: كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع، وسميت بذلك؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان[٢]

وقيل: سميت بذلك؛ " لأن بها يتم بيان المعنىٰ، ويزداد وضوحه جلاء، وقوة، وهذا لأن التفصيل فيه توضيح، وجلاء، وبيان"[٣]، ولذلك عد العلماء الفواصل القرآنية مجامع بلاغة القرآن، ومعاقد معانيه، حيث " تقوم بدورها في إحكام بناء الآية في الشكل والمضمون" [٤]

وفي قصة ذي القرنين نجد تعدد حرف الفاصلة وتنوعه، فبعد أن كانت الفاصلة في قصة موسىٰ والخضر – عليهما السلام- تسير علىٰ نمط واحد في الغالب وهو حرف الراء المتبوع بالمد ، تنوعت الفواصل بعد ذلك فكانت الراء، والباء، والنون، والميم، والدال، واللام، والقاف المتبوعات بالمد ، وجميعها متقاربة في المخرج

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسىٰ بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفىٰ: ٣٨٤هـ)، ٩٧، تحقيق: د/ محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف – مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

(٢) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفىٰ: ٧٩٤هـ)، ١/ ٥٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية.

(٣) من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفىٰ: ١٣٨٤هـ)، ٦٥، نهضة مصر – القاهرة ٢٠٠٥.

(٤) مدخل إلىٰ تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، ١٥٣، دار القلم/ دار الشامية – دمشق/ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.

عدا القاف، ولعل السبب في تنوع حروف الفاصلة في هذه القصة هو الخروج بالنفس عن الرتابة التي قد تُحدِث الملل ، فسورة الكهف مليئة بالقصص والأحداث ، وقصة ذي القرنين جديرةٌ بالمذاكرة لما فيها من عبرٍ وعظاتٍ وحكمٍ ومعانٍ وآدابٍ وشمائل، فتنوعت الفواصل ؛ لتثير الانتباه، وتوقظ التفكير، وتجدد النشاط الذهني[1].

ومن ناحية أخرىٰ جاء تنوع الفواصل وتعددها في القصة محاكيًا لتعدد الأحداث، وكأن كل آية من آيات القصة تخبرنا خبرًا جديدًا عن ذي القرنين، وتكشف لنا عن جانب من شخصيته، فيجذب الانتباه، ويجعل السامع متشوقًا لمعرفة الأحداث.

فضلا عن أن في إيثار أصوات بعينها في فواصل القصة يتناسب ويحاكي أحداثها، فنجد القصة اعتمدت في بعض آياتها علىٰ صوت (الراء) وهو صوت " صوت لثوي تكراري مجهور "[2]، يعبر عن " شيء من التماسك يجعل الاتصال والامتداد واضحين...، وهذا يلتقي مع تكوُّن صوت الراء بامتداد طرف اللسان حتىٰ يمس طرفُه المرتعدُ لثةَ الثنايا العليا أكثر من مَسَّةٍ سريعة التوالي، ويخرج صوتها علىٰ ذلك كأنه موجات متتالية تكرارًا[3]،هذا الامتداد الذي في الراء يحاكي :

---

(١) التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبدالله محمد الجيوسي، ص١٩٠، دار الغوثاني دمشق، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

(٢) مناهج البحث في اللغة، ص ١٠٤، علم الأصوات ، د/ حسام البهنساوي، ص ٨١.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، ١/ ٢٩، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٠ م.

١. امتداد نفوذ ذي القرنين وسلطانه من مشارق الأرض إلىٰ مغاربها.

٢. امتداد سيرة ذي القرنين فقد سمع عنه اليهود، وطلبوا من المشركين أن يسألوا النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – عنه، وستظل قصته خالدة إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

بالإضافة إلىٰ أن التكرار الذي في الراء جاء مناسبًا لتكرار العذاب لمن ظلم نفسه بالإصرار علىٰ كفره أو استمر علىٰ ظلمه، حيث يعذبه ذو القرنين في الدنيا بالقتل، ثم يعذبه الله في الآخرة عذابًا منكرًا لم يعهد مثله.

وفي آيات أخرىٰ اعتمدت علىٰ حرفي (الباء والميم)، أما (الباء) فهي صوت شفوي شديد مجهور[١]، تعبّر عن تجمعٍ تراكميٍّ يتكون بانطباق الشفتين انطباقًا تامًّا [٢].

و(الميم) صوت شفوي أنفي مجهور[٣]، وهي تعبر عن تضامٍّ أو استواءٍ ظاهريٍّ لشيء أو علىٰ شيء، وذلك المعنىٰ اللغوي للميم يلتقي مع الشعور بتكون الميم بالتقاء الشفتين مع خروج زمير الجهر من الأنف، فالضم والاجتماع هنا أقل قوةً مما مع الباء [٤].

---

(١) مناهج البحث في اللغة، ص٩١.

(٢) المعجم الاشتقاقي ،١/ ٢٦، ٢٧.

(٣) علم الأصوات، ص ٣٤٨.

(٤) المعجم الاشتقاقي ،١/ ٣٧.

والضم والاجتماع اللذان في الباء والميم بالإضافة إلى امتدادهما يحاكي:

١. اجتماع أسباب التمكين لذي القرنين التي تيسر له الوصول إلىٰ كل ما يريد، وأخذه بها، فقد سخَّر الله له السحاب وحمله عليه، ومَدَّ له في الأسباب، وبسط له النُّور، فكان الليل والنهار عليه سواء[١]، بالإضافة إلىٰ كثرة أعوانه وجنوده والهيبة والوقار وقذف الرعب في قلوب أعدائه، وتسهيل السير عليه وتعريفه فجاج الأرض واستيلائه علىٰ برها وبحرها[٢]؛ ولذا تكرر ذكر السبب في كل رحلة قام بها؛ ليدل علىٰ أنه إذا أراد شيئًا اتبع الأسباب التي توصله إلىٰ ذلك الشيء.

٢. تجمع القوم ومساعدتهم لذي القرنين في بناء السد.

٣. الضم والاجتماع الذي يحصل به الردم، فقد جمعوا له قطع الحديد والحطب وساوىٰ بينهما، ثم نفخوا في النار فصار الحديد نارًا، ثم آتوه النحاس المذاب، فصبه فجعلت النار تأكل الحطب وصار النحاس مكان الحطب حتىٰ لزم الحديد النحاس[٣].

٤. تجمع قوم يأجوج ومأجوج لصعودهم السد، ومحاولاتهم نقبه، وامتداد هذه المحاولات إلىٰ أن يأتي وعد الله.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٣/ ١٠٦.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفىٰ: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ٧/ ٢٢٠، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ٣/ ٢١٧.

وفي آية واحدة اعتمدت الفاصلة علىٰ (النون)، وهي صوت أسناني لثوي أنفي مجهور[١]، تعبِّر عن امتدادٍ لطيف..، وهذا المعنىٰ اللغوي للنون يلتقي مع الشعور بخروج النون زميرًا يمر في الخياشيم وقصبة الأنف حتىٰ يخرج منها [٢]، فالغنة التي في النون تحاكي بدورها المبالغة في الإحسان إلىٰ المؤمنين الصالحين بالقول والعمل، وذلك بأن يتركهم أحياء، ويعفو عنهم، وكل ما يمكن أن يدخل تحت الإحسان.

وعند الحديث عن القوم الذي وجدهم ذو القرنين بين السدين جاءت فاصلة (اللام) وهي صوت أسناني لثوي جانبي مجهور[٣]، تعبر عن نوع من الامتداد من شيء، وهذا المعنىٰ اللغوي للّام يلتقي مع الشعور بنطق اللام بامتداد طرف اللسان حتىٰ يلتقي بأعلىٰ اللثة مفسحًا جانبيه لمرور صوت اللام مجهورًا قويًّا[٤]، هذا الانحراف الذي في اللام يضارع انحراف ألسنة القوم الذي وجدهم ذو القرنين أو انحراف منطقهم، حيث كانوا لا يكادون يفقهوا غيرهم لعلل: إما بألسنتهم، وإما بمنطقهم[٥]

وعندما جاء الحديث عن السد انتهت الفاصلة بـ (الدال) وهي صوت "أسناني لثوي انفجاري مجهور"[٦]، تعبّر عن انحسار واحتباس [٧]، هذا الاحتباس

---

(١) علم الأصوات، كمال بشر، ص ٣٤٩.

(٢) المعجم الاشتقاقي ،١/ ٣٧.

(٣) علم الأصوات، كمال بشر، ص ٣٤٨.

(٤) المعجم الاشتقاقي ،١/ ٣٦، ٣٧.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨/ ١٠٣.

(٦) دراسات في علم الأصوات، ص ٧٦.

(٧) المعجم الاشتقاقي، ١/ ٢٨.

والانحسار يتناسب مع طبيعة السد، فبناء السد حبس ذو القرنين قوم يأجوج ومأجوج ومنعهم من الأذية والاضرار بمن حولهم.

وإتيانه بالقاف في نهاية القصة يشبه إسدال الستار في نهاية المشهد الختامي، ففي التقاء أقصىٰ اللسان بما فوقه من الحنك اللين التقاء محكما يتم فيه غلق ممر الهواء مناسبةً شكليةً حيث غلق الحديث في أمر ذي القرنين، وانتهاء قصته.

والتمكن، والثبات، والاستقرار الموجود في صوت القاف يحاكي ما في الحق من الدلالة علىٰ " إحكام الشيء وصحته" [(١)]، والاستعلاء الذي في القاف يتناسب مع استعلاء الحق وظهوره، فالحق: هو الشيء الثابت الراسخ المتمكن، ووعد الله حق ثابت لا يتخلف.

وهكذا نجد للأصوات آثار في أذن السامع، من الناحيتين العضوية والنفسية، مع المحافظة في الوقت ذاته علىٰ الإيقاع الصوتي، ففي إتباع هذه الحروف بالمد تطريب [(٢)] يجري علىٰ عادة العرب المجبولين علىٰ حب القوافي والأسجاع[(٣)]، فقد كانوا إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون؛ لأنهم أرادوا مد

---

(١) مقاييس اللغة، (ح ق ق)، ٢/ ١٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفىٰ: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/ ٥٨، ٥٩، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية.

(٣) فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، د/ السيد خضر، ص٥٠، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

الصوت [١]، ولذلك خُتمت أكثر مقاطع الفواصل بحروف المد واللين وبُنيَ أكثرها علىٰ الميم والنون لما فيهما من غُنة وتطريب [٢].

وكل ذلك من شأنه أن يضفي إيقاعًا صوتيًّا شجيًّا يستقطب العقول ويستولي علىٰ القلوب، ويأسر الأسماع بحلاوة وعذوبة وقعه [٣].

بالإضافة إلىٰ أن انتهاء فواصل آيات القصة بالمد يتناسب مع جميع الأحداث في القصة، إذ إنّ في مَدّ الصوت بالألف عند الوقف إشارةً إلى:

١. امتداد ذكر ذي القرنين وكثرة أخباره؛ ليكون تذكيرًا لهم "بوجوب التوحيد، وترك عبادة الأوثان، وإقامة العدل، ونفع الناس بدل إيذائهم" [٤]
٢. إطلاق الأسباب والذهاب بها كلَّ مذهب، فيطلق الخيال لعنان المتلقي في تصور هذه الأسباب.
٣. إطلاق العنان لذي القرنين في اتخاذ كل وسائل الإحسان والتيسير مع من آمن وأصلح، مما يناسب جو الترغيب للمؤمنين الصالحين.

---

(١) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفىٰ: ١٨٠هـ)، ٤/ ٢٠٤، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفىٰ صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفىٰ: ١٣٥٦هـ)، ١٥٠، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥ م.

(٣) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفىٰ: ١٤٢٩هـ)، ١/ ٢٢٥، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.

(٤) زهرة التفاسير، ٩/ ٤٥٧٧.

٤. امتداد العذاب في الآخرة لمن ظلم وأصر علىٰ كفره، والذهاب به كل مذهب، فيفتح للخيال مجالا لتصور كل أنواع العذاب، فيتناسب مع جو التهديد لهم.

٥. كذلك المد في الألف يناسب حالة الشكوىٰ والحزن والألم الذي أحس به القوم من جراء اعتداءات يأجوج ومأجوج، فساعد علىٰ إخراج التأوهات النفسية من داخلهم.

بالإضافة إلىٰ أن في طول مدة النطق بالألف، مناسبة شكلية مع طول مدة بناء السد، حيث يشعر المد بامتداد وقت بناء السد، نفاذ القطر، وامتداده حيث يتخلل زبر الحديد والحطب، مما يساعد علىٰ رسم اللوحة ونقل الصورة كاملة لذهن المتلقي.

وهكذا نجد القرآن يختار الفاصلة بدقة عجيبة تدل علىٰ إعجاز بياني، فهي من جهة الدلالة تتوافق مع مضمون الآية، ومن جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للآيات[١].

(١) فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، السيد خضر، ص١٤٥، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م.

المبحث الثاني: الدلالة الصرفية في قصة ذي القرنين

الدلالة الصرفية هي الدلالة التي تستمد من أبنية الكلمات واشتقاقاتها وصيغها الصرفية بالإضافة إلىٰ أوزانها الصرفية وما تحويه من دلالاتٍ ومعان، وتأتي الدلالة الصرفية في القوة بعد الدلالة الصوتية[(١)]، حيث تستمد قوتها من الدلالة الصوتية؛ لأنها الصورة التي يحملها اللفظ، ويخرج ويستقر عليها.

المطلب الأول: دلالة أبنية الأفعال والأسماء:

أولا - أبنية الأفعال:

١. بناء " فَعَّل":

أ. في قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، و(مَكَّنَّا) علىٰ صيغة فعَّلنا و تأتي " فَعَّل" لمعاني متعددة [(٢)] في اللغة ، ولكن مجيئها للتكثير هو الغالب عليها[(٣)]، وهي هنا للتكثير ، ومعنىٰ(مَكَّنَّا): أي أعطيناه ملكا عظيما ممكنا فيه من جميع ما يؤتىٰ الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات، ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد،

---

(١) وتعرف عند ابن جني باسم (الدلالة الصناعية)، ينظر: الخصائص، ٣/ ١٠٠.

(٢) منها التعدية نحو: فرَّحته، وفسَّقته، وللسلب نحو: جَلَّدته وقَرَّدته، وبمعنىٰ "فعل" نحو: زلته وزيلته "، ينظر: شرح المفصل لابن يعيش، ٤/ ٤٣٩، شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفىٰ: ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، وآخرون، ١/ ٢٥٢، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م.

(٣) شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفىٰ: ٦٤٣هـ)، ٤/ ٤٣٩، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

وخدمته الأمم من العرب والعجم[١]، فهذا التمكين بسبب الملك ، وذهب الرازي إلىٰ أن التمكين هنا بسبب النبوة وإجراء المعجزات، وحمل كلام الله علىٰ الوجه الأكمل أولىٰ ؛ لأن التمكين بسبب النبوة أعلىٰ من التمكين بسبب الملك[٢]

وأيا ما كان الأمر فالمراد بالتمكين هنا الإقدار، وإطلاق التصرف، والتثبيت، والتقوية، وهو مجاز مرسل؛ لأنه يستلزم التقوية[٣] أي: أقدره وقواه علىٰ التصرف فيها، وعليه فاستعمال التمكين في معنىٰ التثبيت والتقوية أبلغ في إفادة المعنىٰ المراد؛ لأن التمكين إعطاء ما يصح به الفعل كائنًا ما كان من الآلات والقوىٰ والعدد، والإقدار إعطاء القدرة[٤]، وذلك أن الذي له قدرة علىٰ فعل الشيء قد يتعذر عليه فعله إذا لم تتوفر له السبل والأدوات، والله- سبحانه وتعالىٰ- قد هيأ له كل الأسباب، ووفر له كل السبل والأدوات.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ٥/ ١٧١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٩ هـ، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ٣/ ٢١٢.

(٢) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفىٰ: ٦٠٦هـ)، ٢١/ ٤٩٥، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

(٣) التحرير والتنوير،٧/ ١٣٨.

(٤) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري (المتوفىٰ: نحو ٣٩٥هـ)، ١/ ١١١، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة القاهرة – مصر.

وفي صيغة " فَعَّل" ما يعكس كثرة التثبيت والتقوية لذي القرنين من الله –عزوجل – بتهيئة كل أسباب الدنيا له، حتىٰ لينصرف ذهن السامع والقارئ إلىٰ وجوه التمكين في الأرض، مما يجعل للتصور مجالا وللخيال سعة لاستشفاف صور هذا التمكين وأشكاله، فمهما قيل ومهما تصور من أسباب التمكين الحسنة التي تليق بهذا الرجل قد مكن له في هذه الأرض، فقد مكن له في العلوم والمعرفة واستقراء سنن الشعوب صعودًا وهبوطًا، ومكن له في سياسة النفوس، وفي أسباب القوة من الأسلحة والجيوش، وفي أسباب العمران[١].

ب. قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾

وفَعَّل هنا " لجعل الشيء بمعنىٰ ما صيغ منه "[٢]، أي: جعلني مكينًا، يقول الزمخشري: " ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار، خير مما تبذلون لي من الخراج" [٣]

وهذا يعكس حالة الرضا التي وصل إليها ذو القرنين بما قسمه الله له، فعطاء الله و ما بسطه له من القدرة والملك خير من عطائهم، وكذلك يشعر بإحساسه بتأييد الله

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، ص٣٠٤.

(٢) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفىٰ: ٧٧٨ هـ)، ٨/ ٣٧٤٩، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام – القاهرة ، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٨ .

(٣) الكشاف، ٢/ ٧٤٧، مفاتيح الغيب، ٢١/ ٤٤٩ .

تعالىٰ له، فإن القوم لو جمعوا له خرجا لم يعنه أحد[١] إلا الله، وكذلك يشعر بإحساسه بالمسؤولية تجاههم ، وكأن الملك قد فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم، وسد فرجتهم، وإصلاح ثغورهم[٢].

ج. ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

(تُعَذِّبَ) مضارع الفعل "عَذَّب" جاء تضعيف العين في الفعل دليلًا علىٰ قوة الفعل والمبالغة فيه، يقول ابن جني: " وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوىٰ اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل..، كرروا أقواها وجعلوه دليلًا علىٰ قوة المعنىٰ المحدث به "[٣]، وكأن التعذيب قد وصل إلىٰ منتهاه، ولذلك فسر أكثر العلماء التعذيب هنا بالقتل [٤]، فقالوا: " يعني إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام، وإما أن تتخذ فيهم حسنا، يعني تعفو وتصفح"[٥]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفىٰ: ٦٧١هـ)،١١/ ٦٠، تحقيق:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، الطبعة: الثانية،١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م.

(٢) السابق، ١١/ ٦٠.

(٣) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفىٰ: ٣٩٢هـ)، ٢/ ١٥٧، الهيئة المصرية العامة، الطبعة: الرابعة.

(٤) مفاتيح الغيب، ٢١/ ٤٩٧، الكشاف، ٢/ ٧٤٤.

(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ٣/ ٢١٣.

وهذا يعكس ويؤكد من جهة تمكين الله له في الأرض، وأن الله سلطه على القوم، وترك له التصرف في أمرهم، يقول ابن كثير: " إن الله تعالىٰ مكنه منهم وحكمه فيهم وأظفره بهم وخيره إن شاء قتل وسبىٰ وإن شاء من أو فدىٰ " [١]، ومن جهة أخرىٰ يدل علىٰ فساد أحوالهم وأعمالهم[٢].

٢. بناء "فَاعَل":

جاء الفعل (سَاوَىٰ) علىٰ صيغة (فَاعَل) في قوله تعالىٰ: { حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ[٣] قَالَ انْفُخُوا }، وتأتي " فاعَل" لمعاني متعددة[٤] في اللغة ، وهي هنا بمعنىٰ "فعّل"[٥] ، فقد ذكر البغوي أن ساوىٰ بمعنىٰ سوَّىٰ بين طرفي الجبلين[٦]،

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥/ ١٧٣، ١٧٤.

(٢) التحرير والتنوير، ١٦/ ٢٦.

(٣) والصدفان: ما بين ناحيتي الجبلين ورؤوسهما، ينظر: جامع البيان، ١٨/ ١١٤.

(٤) يكثر استعماله في معنيين، أحدهما: التشارُك بين اثنين فأكثر، وثانيهما: المُوالاة، فيكون بمعنىٰ أفعل المتعدي، كواليت الصوم وتابعته، بمعنىٰ أوليتُ، وأتبعتُ بعضَه بعضًا، وربما كان بمعنىٰ فَعَلَ، كدافع ودَفع، ينظر: شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفىٰ: ١٣٥١ هـ)، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، ص٣٠، ٣١، مكتبة الرشد الرياض.

(٥) الكناش في فني النحو والصرف، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفىٰ: ٧٣٢ هـ)، ٢/ ٦٩، تحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ٢٠٠٠م.

(٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن/ ٣/ ٢١٧.

يقال: ساويت هذا بهذا، أي: رفعته حتّىٰ بلغ قدرَهُ ومَبلَغَه[١]، وفي التهذيب: " ساوَىٰ الشيءُ الشيءَ: إذا عادَلَه، وساوَيْتُ بَين الشَّيْئَيْنِ: إذا عَدَلْتَ بَينهمَا، وسَوّيتَ"[٢]، "والمساواة: جعل الأشياء متساوية، أي: متماثلة في مقدار أو وصف" [٣]

وقرأ الجمهور «ساوىٰ» وقرأ قتادة «سَوَّىٰ»[٤].

وتعكس صيغة(فاعل) التي بمعنىٰ (فَعَّل) هنا الدقة والإحكام والمبالغة في سد ما بين الجبلين، حيث وضع زبر الحديد "بعضه علىٰ بعض من الأساس حتىٰ إذا حاذىٰ به رؤوس الجبلين طولا وعرضًا"[٥]، قال انفخوا فالتحم الحاجزان بذلك، وأغلق الطريق علىٰ يأجوج ومأجوج.

---

(١) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفىٰ: ١٧٠هـ)، (س و ي)، ٧/ ٣٢٦، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الهلال.

(٢) التهذيب، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفىٰ: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، (س و ي)،١٣/ ٨٦، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولىٰ ٢٠٠١م.

(٣) التحرير والتنوير، ١٦/ ٣٧.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفىٰ: ٥٤٢هـ)، ٣/ ٥٤٣، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤٢٢هـ، الكشاف، ٢/ ٧٤٧.

(٥) تفسير ابن كثير، ٥/ ١٧٦.

٣. بناء "استفعَل":

قال تعالىٰ: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾

(اسْطَاعُوا) بتخفيف الطاء، وأَصله اسْتَطَاعُوا علىٰ وزن (استفعلوا)، والغالب في صيغة (استفعل) أن تأتي للطلب حقيقة أو مجازًا[١]، والطلب هنا علىٰ سبيل المجاز؛ إذ لا يمكن ههنا طلبٌ في الحقيقة ، وإنما أريد بذلك الاجتهاد[٢] في مزاولة الفعل، وبالتالي تعكس صيغة استفعل هنا اجتهاد قوم يأجوج ومأجوج في مزاولة الفعل ومحاولتهم الصعود والنقب ولكن دون جدوىٰ؛ لارتفاعه وصلابته، يقول البغوي: فما استطاعوا " أن يعلوه من فوقه لطوله وملاسته، وما استطاعوا له نقبا، من أسفله لشدته وصلابته". [٣]

وقد اختلف أهل العربية في وجه التخفيف: " فقال بعض نحويي البصرة: فعل ذلك لأن لغة العرب أن تقول: اسطاع يسطيع، يريدون بها: استطاع يستطيع، ولكن حذفوا التاء إذا جُمعت مع الطاء ومخرجهما واحد...، وقال بعض نحويّ الكوفة: هذا حرف استعمل فكثر حتىٰ حذف"[٤].

ولسائل أن يسأل إذا كان الغرض التخفيف كما ذهب النحاة، فلماذا خففت في الأولىٰ ولم تخفف في الثانية؟

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنه قد روعي مناسبة الفعل للحدث وهو ما عبر عنه ابن جنىٰ بـ (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، وذلك لأنه لما كانت الألفاظ دليلة

---

(١) تأتي استفعل لعدة معاني منها: الطّلب، والتّحوّل، والاتّخاذ، ومطاوعة (أفعل) ولموافقته، وموافقة (تفعّل) و(افتعل) والمجرّد والإغناء عنه وعن (فعّل)، ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ٨/ ٣٧٦٣، شذا العرف في فن الصرف، ٣٤.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، للرضي، ١/ ١١٠.

(٣) إحياء التراث، ٣/ ٢١٧.

(٤) جامع البيان، ١٨/ ١١٨، تفسير الرازي، ٢١/ ٥٠٠.

المعاني[١]، قابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف[٢]، فجاءت (اسْطَاعُوا) مع الحدث الأيسر، و(اسْتَطَاعُوا) مع الحدث الأصعب، ومما لا شك فيه أن الظهورعليه أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم، فجيء بالفعل مخففًا مع الأخف، وتامًا مع الأثقل، فتناسب، ولو قدر بالعكس لما تناسب.

فضلا عن أن في إطالة الفعل الثاني مناسبة شكلية، وذلك أنه جاء في محل التأكيد لنفي قدرتهم علىٰ الاستيلاء علىٰ السد وتمكنهم منه، فناسب ذلك الإطالة[٣]، وقد أكد ذلك الدكتور فاضل السامرائي بقوله: " وذلك أنه لما كان صعود السدّ الذي هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس أيسر من نقبه وثقبه وأخف عملا، خفف الفعل للعمل الخفيف، فحذف التاء، وطوَّل الفعل فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل الطويل "[٤].

وكذلك في التعبير بكلمة (اسْطَاعُوا) ما يعكس طبيعة السد من ملاسته واستوائه، حيث توحي بشيء من الانزلاق يعني كلما أرادوا أن يصعدوه ينزلقون فجاءت لفظة(اسْطَاعُوا) مناسبة من هذه الجهة[٥].

---

(١) الخصائص، ٢/ ١٥٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ٥/ ١٦٩.

(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، ٢/ ٣٢٤، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٤) التعبير القرآني، د/ فاضل صالح السامرائي، ٧٥، دار ابن كثير- بيروت، الطبعة الثالثة١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

(٥) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار عمار – الأردن، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.

ثانيا دلالة أبنية الأسماء:

١. اسم المكان:

اسم المكان يدل علىٰ مكان وقوع الفعل[١]، ويصاغ من الثلاثي علىٰ وزن:

أ. (مَفْعَل)- بفتح الميم والعين، وسكون ما بينهما- إن كان المضارع مضمومَ العين، أو مفتوحَها، أو معتلَّ اللام مطلقا، كمَنْصَرَ، ومَذْهَبَ، وَمَرْمَىٰ، ومَوْقَىٰ، ومَسْعَىٰ.

ب. (مَفْعِل) - بكسر العين- إن كانت عين مضارعه مكسورة، أو كان مثالاً مطلقًا في غير معتل اللام، كمَجْلِس، ومَبيع، ومَوْعِد، ومَيْسِر

ويصاغ من غير الثلاثي علىٰ زنة اسم مفعول، كَمُكْرَم ومُسْتَخْرَج ومُسْتَعَان [٢]

وقد جاء اسم المكان في موضعين في قصة ذي القرنين:

الأول: (مَغْرِبَ) في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ﴾

يقول ابن عاشور: والمراد "بمغرب الشمس مكان مغرب الشمس من حيث يلوح الغروب من جهات المعمور من طريق غزوته أو مملكته، وذلك حيث يلوح أنه لا أرض وراءه بحيث يبدو الأفق من جهة مستبحرة، إذ ليس للشمس مغرب حقيقي إلا فيما يلوح للتخيل" [٣].

---

(١) معاني الأبنية في العربية، د/ فاضل صالح السامرائي، ٣٦، دار عمار- الأردن، الطبعة الثانية١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

(٢) شذا العرف في فن الصرف، ٧١.

(٣) التحرير والتنوير، ١٦/ ٢٥.

وفسرها الشوكاني بـ " نهاية الأرض من جهة المغرب؛ لأن من وراء هذه النهاية البحر المحيط، وهو لا يمكن المضي فيه" [١]

وقد جاءت مغرب بالكسر علىٰ غير القياس، والقياس الفتح، مما يعكس أن بلوغه مغرب الشمس علىٰ غير المألوف والمعتاد، ويؤكد في الوقت نفسه تمكين الله له، فلولا هذا التمكين ما استطاع الوصول إلىٰ مغرب الشمس.

الثاني: (مَطْلِعَ) في قوله تعالىٰ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠﴾

أريد بذلك الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً من معمورة الأرض، وقرئ بفتح اللام[٢]، وفي اختلافهما وجهان: أحدهما: معناهما واحد. الثاني: معناهما مختلف، وهي بفتح اللام الطلوع، وبكسرها الموضع الذي تطلع منه[٣] أي: وصل الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولًا من معمور الأرض، إذ لا يمكنه أن يبلغ موضع طلوع الشمس، وقيل: مكان طلوعها؛ لعدم المانع شرعًا ولا عقلًا من وصوله إليه[٤]

---

(١) فتح القدير، ٣/ ٣٦٤.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفىٰ: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٣/ ٢٩٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٨ هـ، الكشاف، ٢/ ٧٤٥، مفاتيح الغيب، ٢١/ ٤٩٧، نظم الدرر، للبقاعي، ١٢/ ١٣٢.

(٣) تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفىٰ: ٤٥٠هـ)، ٣/ ٣٤٠، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

(٤) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفىٰ: ١٢٥٠هـ)، ٣/ ٣٦٥، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٤ هـ

٢. اسم الفاعل[١]:

وقد جاء في موضعين من القصة:

الأول: (صَالِحًا): قال تعالىٰ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾، صالحا: اسم فاعل من الفعل صلح والصَلاحُ في اللغة: ضدّ الفساد، يقال: صَلُح الشيءُ يصْلُح صُلوحا، وصلاحًا[٢]

والمراد بالعمل الصالح هنا اتباع ما يدعوهم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له[٣]، والعمل بما يقتضيه الإيمان [٤]، ومن عمل ذلك له عند الله الحسنىٰ، وهي الجنة؛ ثوابًا علىٰ إيمانه، وطاعته ربه.

وقد آثر التعبير القرآني استعمال اسم الفاعل دون الفعل هنا؛ لدلالة اسم الفاعل علىٰ الثبوت والدوام، وذلك بخلاف الفعل الذي يدل علىٰ التجدد والحدوث [٥].

---

(١) هو ما دل علىٰ حدث وصاحبه، ويأتي من الثلاثي علىٰ وزن فاعِل، نحو نَاصِر، ومن غير الثلاثي علىٰ زِنَة مضارعه، بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة، وكَسر ما قبل الآخر، كمُدَحْرِج ومُنْطَلِق، ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ: ٩١١هـ)، ٣/ ٦٨، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر، شذا العرف في فن الصرف، ٦٢، معاني الأبنية في العربية، ٤١.

(٢) الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفىٰ: ٣٩٣هـ)، (ص ل ح)، ١/ ٣٨٣، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، مقاييس اللغة، (ص ل ح)، ٣/ ٣٠٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ٥/ ١٧٤.

(٤) الكشاف، ٢/ ٧٤٤.

(٥) ينظر: معاني الأبنية في العربية، ٤١.

فاسم الفاعل" أدوم وأثبت من الفعل"[١]، الأمر الذي يعكس أن الصلاح وصفٌ ثابت لأعمالهم، وليس شيئًا طارئًا، أراد بذلك أنهم داوموا علىٰ عمل الصالحات واستمروا عليها، ولا يستفاد معنىٰ المداومة من الفعل وحده.

الثاني: (مُفْسِدُونَ): قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾

مفسدون اسم فاعل من الفعل أفسد، وقد فسر فسادهم " بالقتل والتخريب وإتلاف الزرع "[٢].

ولسائل أن يسأل: لِمَ آثر التعبير القرآني استخدام اسم الفاعل هنا، فقيل: (مفسدون)، ولم يقل (يفسدون)؟

والجواب: أنه أريد بذلك الدلالة علىٰ الثبوت والدوام، حيث تعكس صيغة اسم الفاعل أن الفساد وصف ثابت لقوم يأجوج ومأجوج، وأنهم كانوا يعيثون في الأرض فسادًا ومداومون علىٰ ذلك، وهذا هو ما أكده المفسرون، فقد روي أنهم: " كانوا يخرجون أيام الربيع إلىٰ أرض هؤلاء الذين شكوهم إلىٰ ذي القرنين، فلا يدعون فيها شيئًا أخضر إلا أكلوه ولا يابسًا إلا احتملوه، وأدخلوه أرضهم، وقد لقوا منهم أذىٰ شديدًا وقتلا، وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس"[٣].

وعليه فاستعمال اسم الفاعل في قصة ذي القرنين جاء ليحاكي المداومة والاستمرار في الأفعال.

---

(١) السابق نفسه.

(٢) تفسير البيضاوي، ٣/ ٢٩٣.

(٣) إحياء التراث ٣/ ٢١٦، الكشاف، ٢/ ٧٤٦.

٣. الصفة المشبَّهة[١]:

وذلك نحو(حَمِئَةٍ) في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾

قرأ الشامي وشعبة والأخوان وأبو جعفر بألف بعد الحاء، وإبدال الهمزة ياء خالصة أي: حارة، وقرأ الباقون بحذف الألف وتحقيق الهمزة (حَمِئَة)أي: ذات حمأة، وهي الطينة السوداء[٢].

وعليه فبالقراءة الأولىٰ تكون اسم فاعل من (حمي يحمي): أي: حارّة[٣].

وعلىٰ القراءة الثانية (الحَمِئَة) مشتقة من الحمأة ، يقال حمئت البئر تحمأ حمأ فهي حمئة ، إذا كان فيها الحمأ وهو الطين الأسود [٤].

ولا تنافي بين القراءتين فلكل واحدة منهما وجه صحيح، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، " وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارّة ذات حمأة

---

(١) هي الصفة المصوغة لغير تفضيل لإفادة الثبوت، كحسن وظريف وطاهر وضامر، ينظر: شرح قطر الندىٰ وبل الصدىٰ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفىٰ: ٧٦١هـ)، ص٢٧٧، تحقيق: محمد محيىٰ الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣ .

(٢) إحياء التراث ٣/ ٢١٢، ٢١٣، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، عبد الفتاح القاضي، ص١٩٦، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان.

(٣) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، محمد سالم محيسن، ٢/ ٣٩٠.

(٤) السابق نفسه، والمفردات في غريب القران، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانىٰ (المتوفىٰ: ٥٠٢هـ)، ص ٢٥٩، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٢ هـ.

وطين، فيكون القارئ في عين حامية واصفها بصفتها التي هي لها، وهي الحرارة، ويكون القارئ في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين"[١]

وقد أوَّل المفسرون قوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ من وجهين:

الأول: أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء، وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة وإن لم تكن كذلك حقيقة.

الثاني: أن للجانب الغربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها، فالناظر إلىٰ الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار، ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية، وهي كذلك حَمِئَة؛ لكثرة ما فيها من الحمأة السوداء والماء[٢].

وقد آثر التعبير القرآني استخدام الصفة المشبهة؛ للدلالة علىٰ الثبوت[٣] ومعنىٰ الثبوت الاستمرار واللزوم ، حيث إن الصفة المشبهة تدل علىٰ استمرار الحدث لصاحبه في جميع الأزمنة[٤]، وإذا أريد معنىٰ الحدوث جيء بها علىٰ زنة اسم الفاعل ، فنقول: حاسن من حسن، فحسن هو الذي ثبت له الحسن مطلقًا،

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨/ ٩٧، الكشاف، ٢/ ٧٤٤،

(٢) مفاتيح الغيب، ٢١/ ٤٩٦.

(٣) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفىٰ: ٥٣٨هـ)، ص٢٩٣، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٣م.

(٤) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاستربادي، ١/ ١٤٧.

وحاسن الذي يثبت له الآن أو غدًا [١]، وعليه فمعنىٰ قراءة (حمئة) أن هذا الوصف ثابت للعين ، وقد جاءت علىٰ بناء(فَعِل)؛ لأن الغالب أن يأتي هذا البناء في المكروهات عمومًا[٢]، وأما قراءة (حامية) فيكون الوصف غير ثابت لها وإنما حادث غير مستمر في كل الأزمنة.

وعليه فمجيء الصفة المشبهة هنا يعكس حال هذه العين، حيث إن الجانب الغربي من الأرض قد أحاط به البحر وهو موضع شديد السخونة، وتكثر فيه الحمأة السوداء.

(١) ينظر: شرح التصريح علىٰ التوضيح، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفىٰ: ٩٠٥هـ)، ٢/ ٤٨، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، حاشية الصبان علىٰ شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفىٰ: ١٢٠٦هـ)، ٣/ ٥، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م، المفصل في صنعة الإعراب، ٢٩٣، معاني الأبنية في العربية، ص٦٦.

(٢) معاني الأبنية في العربية، ص٧٣.

المطلب الثاني: تناوب المصادر والصفات والأفعال.

لا شك أن لكل من المصدر والوصف والفعل دورًا في أداء المعنىٰ، والمعنىٰ الذي يفيده المصدر خلاف الذي يفيده الوصف والفعل؛ إذ يؤدي المصدر وظيفة دلالية صرفية أبلغ من استعمال غيره في الوصف، فهو ينوب عن اسم الفاعل واسم المفعول والفعل، وفي الوقت نفسه يبالغ في دلالتهم حين يستعمل بدلا منهم.

وقد كانت العرب تلجأ إلى الوصف بالمصدر أحيانًا؛ لأمرين: أحدهما صناعي، والآخر معنوي.

أما الصناعي: فليزيدك أنسًا بشبه المصدر للصفة التي أوقعته موقعها.

وأما المعنوي: فللمبالغة؛ لأنه إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه[1]، وفي هذا الجانب المعنوي تتجلىٰ القيمة الدلالية[2]، وكذلك استعمل المصدر بدلا من الفعل للمبالغة.

وفي قصة ذي القرنين ناب المصدر عن الصفات والأفعال في مواضع، منها:

١. قوله تعالىٰ: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾، أي: أمرًا ذا حُسْن علىٰ حذف المضافِ، أو علىٰ طريقةِ إطلاق المصدر علىٰ موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة إلىٰ الإسلام والإرشاد إلىٰ الشرائع [3].

---

(١) الخصائص، ٣/ ٢٦٢.

(٢) الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني، عبد الكريم مجاهد، ص ٨٤،

(٣) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفىٰ (المتوفىٰ: ٩٨٢هـ)، ٥/ ٢٤٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

فالعطف بين التعذيب والإحسان يقتضي ظاهرًا أن يقال: (إما أن تُعذِّب وإما أن تُحسن إليهم)، وقد عدل التعبير القرآني عن استعمال الفعل إلىٰ المصدر للمبالغة في الإحسان، حتىٰ جُعل كأنه اتُخذ فيهم نفسُ الحُسن.

٢. قوله: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ أي: منكرًا يعني بالنار، والنار أنكر من القتل[١]، وأفاد الوصف بالمصدر هنا المبالغة في كون ذلك العذاب شديدًا وجيعًا أليمًا[٢]

٣. قوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾، أي: قولا ذا يسر وسهولة[٣]، وقيل المراد: معروفًا[٤] ، فالتعبير بالمصدر أفاد المبالغة في تيسير أمورهم ورعاية مصالحهم.

٤. قوله: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾، أي ساترًا يحول بينهم وبين المحل الذي يرىٰ طلوعها منه[٥]، يقول الراغب: أي: "حِجابًا مَسْتُورًا"[٦].

فعدل عن الوصف باسم الفاعل إلىٰ الوصف بالمصدر للمبالغة في الأمر، فقد حصل من الوصف بالمصدر من وفرة المعاني ما لا يحصل، لو وصف باسم

---

(١) تفسير البغوي، ٣/ ٢١٣.

(٢) تفسير ابن كثير،٥/ ١٧٤.

(٣) البحر المحيط، ٧/ ٢٢٢.

(٤) تفسير البغوي، ٣/ ٢١٣.

(٥) نظم الدرر للبقاعي، ١٢/ ١٣٢.

(٦) المفردات في غريب القرآن، ص ٣٩٦.

الفاعل، حيث شمل جميع أنواع الستر من "الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف"[١]، والسحاب والغمام ونحو ذلك.

كما أفاد الوصف بالمصدر شمول جميع الأزمنة دون تعيين زمن، وذلك بخلاف اسم الفاعل فزمن الحال هو الأصل فيه [٢]، فلو وصف باسم الفاعل لفهم عدم وجود الستر حال النطق، ولكن هذا المعنىٰ غير مراد، فقد عرف عن القوم أنهم لم يبنوا فيها بناء قط، ولم يبن عليهم فيها بناء قط، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابًا لهم حتىٰ تزول الشمس[٣] وعليه فالوصف بالمصدر هنا أبلغ في إفادة المعنىٰ المراد، وهو قرب الشمس منهم وفعلها، لقدرة الله تعالىٰ فيهم، ونيلها منهم[٤].

٥. قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

فالخُبْر هو: العلم والإحاطة بالخبر، فالوصف بالمصدر أفاد كون المعلوم عظيمًا بحيث لا يحيط به علمًا إلا علام الغيوب[٥].

---

(١) الكشاف، ٢/ ٧٤٥، ٧٤٦.

(٢) التحرير والتنوير، ١/ ٢٢٦/ ٢٢٧.

(٣) تفسير الطبري، ١٨/ ١٠٠.

(٤) تفسير ابن عطية، ٣/ ٥٤١.

(٥) التحرير والتنوير، ١٦/ ٣٠.

المطلب الثالث دلالة الزمن الصرفي

ويستفاد الزمن الصرفي من صيغة الفعل، حيث تدل كل صيغة علىٰ معناها الزمني، فصيغة (فَعَلَ) تفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي، وصيغة (يفعل) تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال، وصيغة (افعل) تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال. (١)

ومعلوم أن الأحداث في قصة ذي القرنين قد حدثت في الزمن الماضي، وجاء التعبير بالفعل المضارع في عدة مواضع منها: قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾، وقوله ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧﴾، وقوله ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ٨٨﴾، وذلك ونحوه علىٰ سبيل "حكاية الحال الماضية"(٢)؛ والغرض من ذلك: توجيه الأنظار إلىٰ هذه القصة العجيبة، و كأنها تقع أمامنا ساعة التكلم بكل ما يلابسها من غرائب، فتجعل المتلقي يعيش -ساعة سماعها- في جو يشابه الجو الحقيقي الذي ولدت فيه أول أمرها، دون الاكتفاء بالسماع المجرد، فينتقل بخياله إلىٰ العصر الحقيقي الذي وجدت فيه، فتستحضر الأذهان حال هؤلاء الأقوام وما كانوا عليه ،

---

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، ص٢٤١، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢) ويراد بها: إعادة حالة سبقت وحادثة وقعت، وترديد قصتها وقت الكلام، وكأنها تحصل أول مرة ساعة النطق بها، مع أنها -في حقيقة الأمر- قد حصلت من قبل، وانتهىٰ أمرها قبل ترديدها، وهذه الصورة الغالبة في الحكاية، ينظر: النحو الوافي، عباس حسن (المتوفىٰ: ١٣٩٨هـ)، ٤/ ٣٤١، دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.

وينتقل المتلقي بخياله إلىٰ مشهد تخيير الله لذي القرنين " بين أن يعذبهم ..،وأن يدعوهم إلىٰ الإسلام" [١]، فيثور شوق المتلقي إلىٰ معرفة موقف ذي القرنين من القوم ، ويعرف عدل ذي القرنين وإيمانه فيما أبداه[٢] ، وفيما أعلنه في قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: من استمر علىٰ كفره وشركه بربه ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾، وترك الأمر علىٰ العموم دون ذكر عذاب بعينه ، حتىٰ تذهب النفس في ذلك كل مذهب ، ولذلك اختلفت آراء المفسرين حول تعذيب ذي القرنين لهؤلاء القوم ، فقيل: المراد بالعذاب : القتل[٣] ، وقيل: " كان يحمي لهم بقر النحاس ويضعهم فيها حتىٰ يذوبوا ، وقيل: كان يسلط الظلمة فتدخل أفواههم وبيوتهم وتغشاهم من جميع جهاتهم "[٤] ، ثم بعد عذابهم في الدنيا يردون إلىٰ المولىٰ – عزوجل – فيستحضر ذهن المتلقي حالتهم فإنهم ساعتئذ في قبضة تصرف الله مباشرة ، فيعذبهم عذابًا بليغًا وجيعًا أليمًا.

وكذلك التعبير بالمضارع في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠﴾ يجعل المتلقي يعيش بخياله الحدث ويستحضر صورة هؤلاء القوم ، فقد " كانوا في مكان لا يثبت عليهم بناء، فكانوا يدخلون في أسراب لهم إذا طلعت الشمس، حتىٰ تزول عنهم، ثم يخرجون

---

(١) الكشاف، ٢/ ٧٤٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ٥/ ١٧٤.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ٣/ ٢١٣، مفاتيح الغيب، ٣١/ ٤٩٧.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير، ٥/ ١٧٤.

إلىٰ معايشهم" [١]، ثم ينتقل المتلقي إلىٰ مشهد القوم الذين ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ والعرض الذي قدموه لذي القرنين وهو أن يقيم لهم سدًّا في وجه يأجوج ومأجوج مقابل خراج من المال يجمعونه له من بينهم، ومساعدة ذي القرنين لهم ورفضه لجُعْلهم؛ فما مكنه فيه ربه خير وأبقىٰ من جعلهم ، ويستحضر الذهن صورة القوم وهم يحضرون قطع الحديد ووضعهم الحديد والحطب في الردم وتسوية ذي القرنين بين الصدفين ، ونفخهم فيه حتىٰ يصير الحديد نارًا، فيصب النحاس المذاب عليه ، فيرىٰ المتلقي النار وهي تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتىٰ لزم الحديد النحاس، ويتأمل "هذه المعجزة العظيمة؛ لأن تلك الزُبَرَ الكثيرةَ إذا أثرت فيها حرارةُ النار لا يقدر الحيوانُ علىٰ أن يحومُ حولَها فضلاً عن النفخ فيها إلىٰ أن تكون كالنار، أو عن إفراغ القِطر عليها فكأنه سبحانه وتعالىٰ صرف تأثيرَ تلك الحرارةِ العظيمة عن أبدان أولئك المباشرين للأعمال فكان ما كان"[٢]

وهكذا " فالتعبير عن القصة الماضية بصيغة المضارع و"الحال المحكية" يجعل القصة الماضية بمنزلة ما يحصل أمامنا الآن، أو يجعلنا بمنزلة من تقدم بهم الزمان فشاهدوها في وقتها الحقيقي السالف" [٣]، وهذا بلا شك يشعر بأهمية القصة، وبصحة ما تضمنته من معان، فيثور الشوق إلىٰ سماعها ويمتزج السامع بجوها.

---

(١) جامع البيان، ١٨/ ١٠٠.

(٢) تفسير أبي السعود، ٥/ ٢٤٦.

(٣) النحو الوافي، ٤/ ٣٤١.

بالإضافة إلىٰ أن التعبير بالمضارع "يدل علىٰ التجدد والحدوث دون الدوام"[١]، كما في قوله:﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾، فهو يشعر بتجدد محاولات يأجوج ومأجوج في أن يظهروا الحاجز بأن يعلوه من فوقه ، وقد روي " أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتىٰ إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان"[٢]

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٤٠٣.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ٣/ ٢١٧، ٢١٨.

المبحث الثالث: الدلالة التركيبية في قصة ذي القرنين

المطلب الأول: دلالة أدوات المعاني

١. (قد):

(قد) حرف يفيد التحقيق إذا دخلت علىٰ الماضي، والتوقع إذا دخلت علىٰ المستقبل[١].

و(قد) جاءت في قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ لإفادة التحقيق والتوكيد[٢]، حيث أريد بها تأكيد إحاطة علم الله بكل ما لدىٰ ذي القرنين من الجنود والآلات والقوىٰ العقلية والنفسية؛ فالله – عز وجل- لما كلف ذا القرنين ذلك التكليف أعطاه القدرة التي بها يستطيع أداء هذه التكليفات[٣]، فحسن التوكيد هنا، حيث راعىٰ حال المخاطبين، وما قد يدور في أذهانهم من تردد أو شك في قيام ذي القرنين بذلك ، والنفس حين تتردد تصير في حاجة إلىٰ قدر من التوثيق، فأراد دفع هذا التردد بتأكيد علم الله واطلاعه علىٰ جميع أحوال ذي القرنين وأحوال جيشه ، فالله لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وليقرر في النفوس أن المعلوم عظيمًا لا يحيط به علمًا إلا علام الغيوب[٤].

---

(١) الجنىٰ الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفىٰ: ٧٤٩هـ)، ص ٢٥٥، تحقيق: فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

(٢) دراسات في أسلوب القرآن، ٢/ ٣٠١.

(٣) زهرة التفاسير، ٩/ ٤٥٨٤.

(٤) التحرير والتنوير، ١٦/ ٣٠.

٢. السين، وسوف:

"السين وسوف كلاهما للتنفيس، أي: تخليص المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلىٰ الزمان الواسع وهو الاستقبال ...، وزمانه مع السين أضيق منه مع سوف "[١]؛ لأن " في سوف دلالةٌ علىٰ زيادةِ تنفيسٍ"[٢]، حيث "يكون الزمن المستقبل أوسع امتدادًا؛ فتكون دالة علىٰ: (التَّسْويف)"[٣]، فزيادةَ الحروف دلالةً علىٰ زيادةِ المعنىٰ، ظهر ذلك واضحًا في إيثار التعبير القرآني استعمال السين في موضعين من قصة ذي القرنين دون سوف:

الموضع الأول: كان عند سؤال المشركين لما أمرهم اليهود أن يسألوا سيدنا محمد – صلىٰ الله عليه وسلم – عن قصة ذي القرنين[٤]؛ حيث " سألوه علىٰ جهة الامتحان"[٥] ، فناسبه استعمال السين التي تدل علىٰ المستقبل القريب، وذلك في قوله تعالىٰ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾، وذهب ابن عاشور إلىٰ أن السين لتحقيق الوعد[٦] بذكر قصته وإن أبطأ، وذلك لأن المشركين لما سألوا النبي- صلىٰ الله عليه وسلم- عن ذي القرنين، وقال:

---

(١) همع الهوامع، ٢/ ٥٩٤.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش، ٥/ ٩٥.

(٣) النحو الوافي، ١/ ٦٠.

(٤) مفاتيح الغيب، ٢١/ ٤٩٣.

(٥) الكشاف، ٢/ ٧٤٣.

(٦) التحرير والتنوير، ١٦/ ٢٣.

"أخبركم غدا عما سألتم عنه" (١) ولم يستثن، ومكث خمس عشرة ليلة ولم يُحدِّث الله له في ذلك وحيًا، ولم يأته جبريل -عليه السلام-، فتشكك أهل مكة في أمر النبي-صلىٰ الله عليه وسلم- وخاضوا في الأخبار السيئة، فحسن استعمال السين هنا مراعاة لمقتضىٰ حال المخاطبين؛ لأن المخاطبين بصدد التعنت والإنكار، فأزال بالسين التردد الذي تسرب إلىٰ نفوسهم.

والموضع الآخر: عندما أعلن ذو القرنين دستوره في أمر القوم الذي خيره الله – عزوجل -"بين التعذيب لهم إن أقاموا علىٰ كفرهم، وبين المن عليهم والعفو عنهم" (٢)، فإصداره حكمه العادل فيهم ، بين من خلاله أن الجزاء من جنس العمل ،حيث حكم بالعذاب علىٰ المعتدين الظالمين ، وأنهم بعد ذلك يردون إلىٰ ربهم فيعذبهم عذابًا منكرًا فظيعًا لا نظير له فيما يعرفه البشر. أما المؤمنون الصالحون فلهم الجزاء الحسن، والمعاملة الطيبة، والتكريم والمعونة والتيسير.

وقد آثر التعبير القرآني استخدام السين في جانب المؤمنين، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾؛ لتأكيد الفعل وعدم التنفيس فيه، وهذا المعنىٰ مما تختص به (السين) دون (سوف)، فقد كانت العرب إذا أرادت تكرار الفعل، وتأكيده، وعدم التنفيس فيه،

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥/ ١٢٤.

(٢) مفاتيح الغيب، ٢١/ ٤٩٧.

أدخلت عليه السين[١]، وفيه دلالة علىٰ قرب مجازاة المؤمنين الصالحين تحفيزًا للقوم[٢].

وفي جانب المعتدين الظالمين آثر القرآن استعمال (سوف) التي تدل علىٰ المستقبل البعيد، وذلك في قوله: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾، وهذا يشعر بإمهال ذي القرنين الظالمين وقتًا يعودون فيه للحق قبل أن يعذبهم، يقول أبو حيان: " وأتىٰ بحرف التنفيس في فسوف نعذبه لما يتخلل بين إظهاره كفره وبين تعذيبه من دعائه إلىٰ الإيمان وتأبيه عنه، فهو لا يعاجلهم بالقتل علىٰ ظلمهم بل يدعوهم ويذكرهم فإن رجعوا وإلا فالقتل"[٣].

٣. (الفاء)، و(ثم):

(الفاء) و(ثم) من حروف العطف وكلاهما يفيد الترتيب، إلا أن (الفاء) تفيد الترتيب والتعقيب، و(ثمّ) تفيد الترتيب والتراخي[٤].

والمتأمل في قصة ذي القرنين يجد أن أحرف العطف جاءت موزعة في مواقعها، بحيث نجدها تلعب في تعاقبها دورًا بارزًا في إظهار المعاني النفسية والمواقف المتصلة بها، يظهر ذلك جليًّا في إيثار التعبير القرآني استعمال (الفاء) في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا

---

(١) أي: عدم جعله للمستقبل البعيد، ينظر: النحو الوافي، ١/ ٦٠.

(٢) البحر المحيط، ٧/ ٢٢٢.

(٣) السابق نفسه.

(٤) أسرار العربية، ٢٢٠.

﴿٨٥﴾ [سورة الكهف:٨٤-٨٥].واستعمال (ثم) في الموضعين الآخرين ، وذلك في قوله:قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الكهف:٨٨-٨٩] ، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ [سورة الكهف:٩١-٩٢]، ولعل السبب في ذلك أن في الآية الأولي لم يذكر قبلها أن ذا القرنين كان في حملة أو في مهمة معينة، فـ" العطف يستدعي مزيد الاتصال بين المعطوف والمعطوف عليه لما في معنىٰ الفاء من التفريع والتسبب" [(١)]، فدل ذلك علىٰ أن ذا القرنين أخذ بالأسباب بعد التمكين له مباشرة، ومعنىٰ التسبب: "الدلالة علىٰ السببيَّة؛ بأن يكون المعطوف متسببًا عن المعطوف عليه"[(٢)] أراد بذلك أن إتباعه الأسباب كان مسببًا عن أن الله تعالىٰ آتاه "من كل شيء يحتاج إليه في الوصول إلىٰ أغراضه سببًا أي: طريقًا موصلا إليه، والسبب ما يتوصل به إلىٰ المقصود من علم أو قدرة أو آلة"[(٣)].

أما في الموضعين الآخرين فقد حدثا بعد الحالة الأولىٰ بمدة قام ذو القرنين خلالها بحملات إلىٰ مغرب الشمس، ومطلع الشمس، وبين السدين، وهذه الحملات كلها تأتي الواحدة بعد الأخرىٰ بمدة وزمن، ولهذا جاء استعمال (ثم) التي تفيد الترتيب والتراخي في الزمن، فجاءت لتحاكي مدة حكمه، فقد حكم أمدًا

(١) التحرير والتنوير، ٧/ ٣١٧.

(٢) النحو الوافي، ٣/ ٥٧٤.

(٣) البحر المحيط، ٧/ ٢٢٠.

ليس بقصير؛ وذلك لأن تثبيت دعائم العدل في النفوس يحتاج إلىٰ زمن ليستقر ويبقىٰ[١].

كذلك جاء العطف بـ (ثم) مناسبًا عند الحديث عن عذاب الظالمين في قوله: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾؛ حيث دل علىٰ أن بين تعذيب الظالمين في الدنيا ورجوعهم إلىٰ الله ليعذبهم يوم القيامة زمنًا، فيكون ذلك أوقع في الوعيد لهم.

كذلك التعقيب بـ (الفاء) في قوله تعالىٰ: ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ بعده مقصود حيث يفيد السببية؛ لأن عذابهم في الآخرة مسببًا عن ظلمهم، ويشير في الوقت ذاته إلىٰ أن عذابهم موصول برجوعهم إلىٰ الله بعد قتلهم، والفاصل الزمني بين رجوعهم إلىٰ الله وعذابهم في الآخرة قصير، مما يدل علىٰ اقتراب عذابهم في الآخرة، وأنه كائن لا محالة إذا استمروا علىٰ كفرهم وظلمهم.

والفاء في قوله: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ تعرف بفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا عرفتم ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ وأردتم بيان ما هو اللازم لكم .. فأقول لكم: أعينوني[٢].

---

(١) زهرة التفاسير، ٩/ ٤٥٨١.

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، ١٧/ ٥٠، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

٤. حتىٰ:

حرف يأتي لأحد ثلاثة معان انتهاء الغاية وهو الغالب، والتعليل، وبمعنىٰ إلا في الاستثناء وهذا أقلها[١]

فتكون حرف ابتداء إذا جاءت بعدها جملة اسمية، وحرف جر بمعنىٰ إلىٰ إذا جاء بعدها اسم صريح لا جملة، وحرف جر يفيد التعليل إذا كان ما بعدها سببًا في حدوث ما قبلها [٢]

وقد جاءت (حتىٰ) في خمسة مواضع في قصة ذي القرنين ، وكلها لانتهاء الغاية، يقول أبو السعود : وحتىٰ "مختصةٌ بمَا هُوَ غاية للشيء في نفسِه"[٣].

الموضع الأول ففي قوله تعالىٰ:قوله تعالىٰ: ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٨٥ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ ﴾ [سورة الكهف:٨٥-٨٦].،"أي: منتهىٰ الأرض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحدٌ من مجاوزته"[٤]، أراد بذلك: " وصل إلىٰ أقصىٰ ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض، وأما الوصول إلىٰ مغرب الشمس من السماء فمتعذر...، أي رأىٰ الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط،

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفىٰ: ٧٦١هـ)، ص ١٦٦، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

(٢) ينظر: أدوات الإعراب، ظاهر شوكت البياتي،٨٤، ٨٥، دار مجد، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥هـ -٢٠٠٥م.

(٣) تفسير أبي السعود، ٨/ ١١٨.

(٤) تفسير أبي السعود، ٥/ ٢٤٢.

وهذا شأن كل من انتهىٰ إلىٰ ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه"[١]، وقال ابن عاشور: " و(حتَّىٰ) ابتدائيةٌ"[٢].

والموضع الثاني في قوله: ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [سورة الكهف:٨٩-٩٠]، أي: "أي غاية الأرض المعمورة من جهة المشرق"[٣]

وجاءت في الموضع الثالث في قوله: قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمَا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلَا ٩٣﴾ [سورة الكهف:٩٢-٩٣]، **وفي الموضعين الأخيرين** في قوله: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾، وهي فيهم جميعًا "حرف جر وغاية"[٤]

وقد يسأل سائل عن السبب في إيثار استعمال (حتىٰ) للدلالة علىٰ انتهاء الغاية دون (إلىٰ).

ويمكن أن يجاب عن ذلك: بأن استعمال (حتىٰ) أبلغ من (إلىٰ) في هذه المواضع؛ لأن (حتىٰ) موضوعة لإفادة تقضي الفعل قبلها شيئًا فشيئًا إلىٰ الغاية، و(إلىٰ) ليست كذلك[٥]، فأفادت(حتىٰ) أن ذا القرنين أخذ بالأسباب التي توصله

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥/ ١٧٢.

(٢) التحرير والتنوير،١٥/ ٣٧٤.

(٣) روح المعاني، ٨/ ٣٥٧.

(٤) حدائق الروح والريحان، ١٧/ ٥٠.

(٥) مغني اللبيب، ١٦٨.

إلىٰ ما يريد شيئًا فشيئًا حتىٰ انتهىٰ إلىٰ غايته، لأن الفعل المتعدي بها الغرض فيه أن ينقضي شيئًا فشيئًا، حتىٰ يأتي عليه، وهذا المعنىٰ غير موجود في (إلىٰ).

بالإضافة إلىٰ أن استعمال (حتىٰ) أفاد استمرار ذي القرنين في الأخذ بالأسباب حتىٰ بعد وصوله إلىٰ غايته؛ لأن (إلىٰ) ما بعدها لا يدخل في الحكم فيما قبلها -عند أكثر المحققين-، وذلك بخلاف (حتىٰ)[1]، ولذلك كان استعمال(حتىٰ) أبلغ في إفادة المعنىٰ المراد.

٥. (إمَّا، أن):

(إمَّا):

وتأتي(إمَّا) لمعان: منها الشك نحو: قام إما زيد وإما عمرو، والتخيير، والإباحة، والإبهام، والتفصيل[2]

وهي في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ للتخيير، حيث خير الله ذا القرنين في القوم بين التعذيب لهم إن أقاموا علىٰ كفرهم وبين المن عليهم والعفو عنهم [3]

وقيل: هي للتقسيم دون التخيير، أي: ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان، فالأول: لمن أصر علىٰ الكفر، والثاني: لمن تاب وآمن[4]

---

(١) الجنىٰ الداني في حروف المعاني، ٥٤٦.

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفىٰ: ٧٤٥ هـ)، ٤/ ١٩٩٢، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) مفاتيح الغيب، ٢١/ ٤٩٧، تفسير ابن كثير، ٥/ ١٧٤.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي، ٣/ ٢٩٢.

وأما (أن) فتكون زائدة ومفسرة ومصدرية فالزائدة: هي التي دخولها في الكلام كخروجها فيطرد زيادتها بعد (لمَّا)، وبين القسم ولو، والمفسرة: وهي التي يحسن في موضعها أي، وعلامتها: أن تقع بعد جملة فيها معنىٰ القول دون حروفه، فلو كان الذي قبلها غير جملة حكم عليها بأنها المصدرية، والمصدرية هي التي تؤول مع صلتها بمصدر[1]

وعليه فـ (أن) التي بعد (إمَّا) في قوله ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾ مصدرية، وهي وما بعدها في " تأويل مصدر مرفوع علىٰ كونه خبر مبتدأ محذوف تقديره إما الشأن فيهم تعذيبك إياهم أو علىٰ كونه مبتدأ خبره محذوف تقديره: إما تعذيبك إياهم واقع..، أو في تأويل مصدر منصوب علىٰ كونه مفعولًا لفعل محذوف، تقديره: إما فعلت التعذيب"[2]

وكذلك (أَنْ) في قوله: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ مصدرية، " والجملة في تأويل مصدر علىٰ المفعولية والتقدير: فما اسطاعوا ظهورهم إياه" [3].

---

(١) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفىٰ: ٧٤٩هـ)، ٣/ ١٢٣٤، ١٢٣٥، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي، الطبعة : الأولىٰ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان، ١٧/ ٤٦.

(٣) السابق، ١٧/ ٥١.

المطلب الثاني: الوحدات التركيبية

أولا: وحدات تركيبية إنشائية:

١. أسلوب الشرط:

أسلوب الشرط يدل علىٰ التعليق بين جملتين، والحكم بسببية أولاهما، ومسببية الثانية [١] بواسطة أداة الشرط، بحيث لا يمكن أن تتحقق جملة جواب الشرط إلا بتحقق جملة فعل الشرط.

وقد ورد أسلوب الشرط في مواضع من قصة ذي القرنين، واستعمل فيها أداتي الشرط (أمَّا)، و(إذا).

أ. (أمَّا): المفتوحة المشددة، وقد وردت في موضعين:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾، فجعل العذاب للظالمين المعتدين مشروطًا بتحقق وقوع الظلم والكفر منهم.

والموضع الثاني: قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾، حيث جعل الجزاء الحسن مسببًا عن الإيمان والعمل الصالح.

ولعل السبب في إيثار التعبير القرآني استعمال(أمَّا) الشرطية دون غيرها من أدوات الشرط، أنها تفيد مع الشرط، التفصيل، والتوكيد[٢]، حيث فصلت أحوال القوم

---

(١) شرح التسهيل، ٤/ ٦٦.

(٢) مغني اللبيب، ٨٧١.

الذي وجدهم ذو القرنين عند مغرب الشمس، فقد كانوا في أحوال متباينة منهم المؤمن ومنهم الكافر، فضلا عن تأكيد الجزاء المقرر لكل منهما.

ب. (إذا):

إذا: ظرف زمان مستقبل وهي شرطية في أكثر استعمالاتها، مختصة بالتعليق على الشرط المقطوع بوقوعه[1].

وقد وردت في ستة مواضع:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ﴾

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠﴾

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾

وفي قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ دخلت عليها الفاء فأفادت تأكيد[2]، وتحقق دك السد بمجيء وعد الله فدك السد مسبب عن مجيء وعد الله.

---

(١) النحو الوافي، ٤/ ٤٤٠.

(٢) شرح التصريح، ٢/ ٤٠٧.

٢. أسلوب الاستفهام:

الاستفهام هو: استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن[١]

وهو عند أهل العربِيَّة من أنواع الطلب الذي هو من أقسام الإنشاء، وهو كلام يدلّ علىٰ طلب فهم ما اتصل به أداة الطلب، وقد يجئ الاستفهام بمعنىٰ الخبر، "وهو ضربان: أحدهما: نفي، والثاني: إثبات فالوارد للنفي يسمىٰ استفهام إنكار والوارد للإثبات يسمىٰ استفهام تقرير[٢]؛ لأنه يطلب بالأول إنكار المخاطب وبالثاني إقراره به"[٣].

وقد جاء الاستفهام في قوله تعالىٰ ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ بهل وهي حرف استفهام يطلب به التصديق دون التصور ولا يدخل علىٰ منفي ولا شرط ولا أن ولا اسم بعده فعل غالبًا[٤]، والمعنىٰ: "هل نُخرج إِليك من أموالنا شيئًا كالجُعل لك؟"[٥]، فأجابهم ذو القرنين بأن ما أعطاه الله خير مما يبذلون له.

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفىٰ: ٨١٦هـ)، ص ١٨، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

(٢) والتقرير: حمل المخاطب علىٰ الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده، ينظر: البرهان في علوم القران، ٤/ ٣٣١.

(٣) البرهان في علوم القران، ٤/ ٣٢٨.

(٤) الإتقان في علوم القران، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ: ٩١١هـ)، ٢/ ٣٠١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، ٣/ ١٠٩.

وقيل: الاستفهام هنا (استخباري)[١]، الغرض منه (الترغيب والتقرير)[٢] ترغيب ذي القرنين في قبوله مساعدة القوم وحمايتهم من قوم يأجوج ومأجوج وإقراره بأن يجعل بينهم سدا مقابل ما يعطوه من أموالهم.

ويجوز أن يكون الاستفهام هنا للعرض، يقول أبو زهرة: "عرضوا ذلك في عبارات مقربة مُدْنية، فجعلوها علىٰ صورة استفهام"[٣]

وذهب أبو حيان إلىٰ أن الاستفهام علىٰ جهة حسن الأدب، فقال: "استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه علىٰ ما طلبوا علىٰ جهة حسن الأدب إذ سألوه ذلك"[٤].

وأسلوب الاستفهام هنا يعكس ما في نفوس هؤلاء القوم من رغبة حقيقية في الخلاص من فساد قوم يأجوج ومأجوج رغبة دفعتهم إلىٰ أن يفرضوا علىٰ أنفسهم ضرائب يدفعونها إلىٰ ذي القرنين مقابل أن يدفع عنهم الفساد، ومعلوم أن الملوك هم من يفرضون الضرائب لا العكس.

٣. أسلوب النداء:

النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب إليه بالحرف (يا)أو إحدىٰ أخواتها[٥]، والغاية منه أن يصغىٰ من تناديه إلىٰ أمرٍ ذي بال؛ ولذا غلب أن يلي النداء أمر أو نهي أو استفهام أو إخبار بحكم.

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان، ١٧/ ٤٩.

(٢) أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه إعرابه، عبد الكريم محمود يوسف، ص٨١، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مطبعة الشام.

(٣) زهرة التفاسير، ٩/ ٤٥٨٨.

(٤) البحر المحيط، ٧/ ٢٢٦.

(٥) أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد جمال الدين، ابن هشام (المتوفىٰ: ٧٦١هـ)، ٤/ ٣، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.

وقد ورد أسلوب النداء في قصة ذي القرنين في موضعين:

الأول: في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

وفيه استعمل حرف النداء (يا)، وهو موضوع "لنداء البعيد مسافة أو حكمًا"[١]، وقيل: "هي مشتركة بين البعيد والقريب"[٢].

والغرض من النداء هنا التعظيم لذي القرنين، والدلالة علىٰ علو منزلته.

ويجوز أن يكون النداء هنا للإعلام والتأكيد علىٰ قربه من المولىٰ -عز وجل- وأنه لا يفعل إلا ما أمره به[٣]؛ لأن(يا) ينادىٰ بها القريب للتوكيد [٤]

الثاني: في قوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

ونداء القوم لذي القرنين إما علىٰ سبيل الاستغاثة، وإليه مال ابن عاشور، ونداؤهم إياه بلقب ذي القرنين يدل علىٰ أنه كان مشهورًا بمعنىٰ ذلك اللقب بين الأمم [٥]، وعلىٰ أنه كان متطامنًا قريبًا منهم يألفهم، ويألفونه، فلم يكن متحجبًا

---

(١) الجنىٰ الداني في حروف المعاني، ٣٥٤.

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٢/ ٣٤.

(٣) نظم الدرر للبقاعي، ١٢/ ١٣١.

(٤) الجنىٰ الداني في حروف المعاني، ٣٥٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ١٦/ ٣٢.

دونهم، بحيث يصعب علىٰ صاحب الحق الوصول إليه، وذلك من أمارات صلاح الحاكم[١]

وبهذا فسره القشيري حيث ذكر أنهم لجئوا في شرح قصتهم إلىٰ عبراتهم، ورفعوا إليه مظلمتهم، وضمنوا له خراجًا يدفعونه إليه[٢] مقابل أن يخلصهم من فساد هؤلاء القوم.

أو يكون النداء علىٰ سبيل الاستعطاف والتودد له حتىٰ يقيهم من فساد يأجوج ومأجوج، يقول الطبري: "إنما أعلموه خوفَهم ما يحدُث منهم من الإفساد في الأرض"[٣]

ثانيا: وحدات تركيبية خبرية:

ويراد بها هنا أسلوب التوكيد، الذي يعد وسيلة من وسائل التأثير في نفوس المخاطبين، وقد لقي عناية خاصة عند البلاغيين؛ وذلك لما له من صلة وطيدة بالمقام ومقتضىٰ الحال، والغرض منه تقوية الخبر، وتمكينُ المعنىٰ في نفس المخاطب، وإزالةُ الغَلَط في التأويل[٤]، وقد لاحظ البلاغيون أن وجود التردد في النفس يقتضي هذا الضرب من الصياغة المؤكدة.

والمتأمل في قصة ذي القرنين يجد تعدد طرق التوكيد في الأسلوب الخبري في القصة، وفيما يلي توضيح ذلك:

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير، ٩/ ٤٥٨٦.

(٢) لطائف الإشارات، ٢/ ٤١٣.

(٣) جامع البيان، ١٨/ ١١١.

(٤) شرح المفصل، ٢/ ٢٢١.

١. التأكيد بـ (إنَّ)، واللام:

وقد ورد ذلك في بداية القصة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حيث صدر الحديث عن ذي القرنين بـ (إنَّ)، وهي حرف تأكيد [١]، ثم أتبعها بمؤكد ثان وهي اللام في (له)[٢]؛ وذلك لتقرير المعنىٰ في نفوس المخاطبين.

والسؤال الذي يطرح نفسه علىٰ الأذهان لماذا آثر التعبير القرآني استخدام أسلوب التوكيد هنا رغم عدم إنكار المخاطبين لذي القرنين بدليل سؤالهم عنه؟ وهل كان المخاطبون في حاجة إلىٰ تقرير هذا المعنىٰ في نفوسهم؟

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن قصة ذي القرنين لما كانت من أدل دليل علىٰ عظمة الله، جلاها مؤكدًا؛ لأن المخاطبين بصدد التعنت والإنكار[٣]، بالإضافة إلىٰ أن هذه القصة دليل علىٰ نبوة سيدنا محمد -صلىٰ الله عليه وسلم – من وجهة نظر اليهود؛ لأن اليهود لما أمروا المشركين أن يسألوا سيدنا محمد – صلىٰ الله عليه وسلم - كانوا يختبرون بذلك نبوته لقولهم للمشركين إن أجاب عنها جميعا فليس بنبي وإن أجاب عن بعضها وأمسك عن بعض فنبي، فحَسُن التوكيد من هذه الجهة ؛ لإقرار هذا المعنىٰ في نفوسهم لأنهم كانوا منكرين ومترددين في إثبات ذلك له.

---

(١) الكتاب، ٣/ ١٠٩.

(٢) التحرير والتنوير، ١٦/ ٢٤.

(٣) نظم الدرر للبقاعي، ١٢/ ١٣٠.

٢. التأكيد بـ (إنَّ):

وذلك في قوله: ﴿إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

فذِكر التوكيد هنا جاء ملائمًا لحال المخاطب، ذلك أن غاية المتكلمين تبليغ السامع بالخبر ولا يتأتىٰ ذلك إلا إذا وصل إليه دون شائبة شك أو إنكار، وهذا ملحظ نفسي دقيق، فالقوم عندما وجدوا ذا القرنين فاتحًا قويًّا، وتوسموا فيه القدرة والصلاح أدركوا أنه لن يساعدهم ويعينهم علىٰ قوم يأجوج ومأجوج إلا إذا تبين له فسادهم، فأكدوا له ذلك بـ(إِنَّ)، وباسم الفاعل (مُفْسِدُونَ) الذي يدل علىٰ الثبوت والدوام، تمهيدًا لعرضهم عليه الخراج مقابل بناء السد.

٣. التأكيد عن طريق التكرار:

التكرار من مذاهب العرب، وقد عني به البلاغيون عناية فائقة وأفردوا له أبوابًا في كتبهم؛ ونظرًا لما يترتب عليه من آثار دلالية، فقد شرعوا في ذكر أسراره، منها: التوكيد والإفهام [١]، وقصد الاستيعاب، والترغيب في قبول النصح باستمالة المخاطب لقبول الخطاب[٢]، كذلك في التكرار تقرير للمعاني في النفس، وتثبيت لها في الصدور[٣].

والمتأمل في آيات قصة ذي القرنين يجد إيثار القرآن الكريم استعمال هذا الأسلوب في بعض آيات القصة، ومن ذلك:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٤/ ٢٠٨.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفىٰ الهاشمي (المتوفىٰ: ١٣٦٢هـ، ص ٢٠٣، المكتبة العصرية، بيروت.

(٣) الكشاف، ٣/ ٣٣٤.

أ. تكرار لفظ (رَبّ):

تكرر لفظ "رَبّ" في القصة خمس مرات، أربع مرات منها جاءت مضافة إلىٰ ضمير المتكلم، ومضافة إلىٰ ضمير الغائب مرة واحدة.

ولمعرفة الأسرار التي تمكن وراء هذا التكرار لابد من الوقوف علىٰ المعاني اللغوية للفظ، حيث أطلق الرب في اللغة: علىٰ المالك، والشهيد، والسيد، والخالق، والصاحب، والمصلح للشيء[1].

وإذا حاولت الربط بين الجو العام للقصة وبين الدلالات المتعددة للفظ وقفت علىٰ الأسرار النفسية التي تكمن وراء تكراره ، فقد ورد ذكره أولا عند الحديث عن الظالم مضافًا إلىٰ ضمير الغائب ، وذلك في قوله: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾؛ للإشارة إلىٰ وجوب إقراره بالعبودية لله عز وجل، فهو خالقه، وهو وحده الحقيق بالعبادة، وإليه مرجعه فعليه بالاستعداد للقائه، وكل هذا من شأنه أن يجعل الظالم يعيد النظر في موقفه لعله يتراجع ولا يتمادىٰ فيه.

وتكرر بعد ذلك لفظ (رب) عند حديث ذي القرنين عن تمكين الله له، وفي إضافته إلىٰ ضمير المتكلم إشارة إلىٰ إقرار ذي القرنين بنعمة الله عليه، فالمال الكثير واليسار الواسع الذي هو فيه، وما بُسط له من القدرة والملك كله من المولىٰ -عز وجل-[2]، مما يعكس إحساسه بالتأييد من الله -تعالىٰ – له ، ولولا ذلك ما استطاع فعل شيء .

---

(١) مقاييس اللغة، (ر ب ب)، ٢/ ٣٨١، وتاج اللغة وصحاح العربية، (ر ب ب)، ١/ ١٣٠.

(٢) ينظر: الرازي، ٢١/ ٤٩٩، البحر المحيط، ٧/ ٢٢٧، القرطبي ١١/ ٦٠.

وحين أتم ذو القرنين بناء السد نظر إلىٰ العمل الذي قام به، فلم يأخذه الغرور والبطر والطيش، بل شكر الله وحمده، فتكرر ذكر لفظ (رَبِّي) مرة أخرىٰ، فقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾، أي: هذا السد نعمة من الله - سبحانه وتعالىٰ- ورَحْمَةٌ بعباده، وهذا الإقدار والتمكين من تسويته[١]، فرد الأمر لله لا لقوته، وفي هذا إظهار الخضوع لله، والخشوع، والتذلل له، والتواضع لعظمته والإقرار بفضله، فأضاف النعمة إلىٰ موليها، كما يصور التكرار في الوقت ذاته قوة إيمانه وصلاحه، فالصالحين إذا من الله عليهم بالنعم، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله، بخلاف أهل التجبر والتكبر، فلا تزيدهم النعم إلا أشرًا وبطرًا[٢].

وفي نهاية القصة نجد تكرار قوله: ﴿وَعْدُ رَبِّي﴾ للتأكيد علىٰ مجيء وعد الله؛ لأنه لا يخلف الميعاد، فوعد الله الذي وعد خلقه في دكّ هذا الردم، وخروج هؤلاء القوم علىٰ الناس، وعيثهم فيه[٣]، حقًّا واقعًا لا محالة، فلكل شيء أجل ينتهي إليه، فيحاكي بذلك نهاية القصة، ويكون بمثابة إسدال الستار علىٰ قصة ذي القرنين بعد أن بلغت روعة الموقف ذروتها، وانتهت إلىٰ غايتها، وهو تثبيت قلب الرسول- صلىٰ الله عليه وسلم – ومن معه ، والوعيد لأولئك الذين أرادوا إطفاء نور الله

---

(١) ينظر: الكشاف، ٢/ ٧٤٨.

(٢) ينظر: تفسير السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفىٰ: ١٣٧٦هـ)، ص٤٨٦، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨/ ١٢٠.

بتوجيه هذه الأسئلة التعجيزية؛ ليرد القلوب إلىٰ اليقظة، ويعودوا إلىٰ الله قبل فوات الأوان.

ب. تكرار قوله: ﴿ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾:

وقد تكرر في ثلاثة مواضع من القصة مع كل رحلة قام بها ذو القرنين؛ مرة متبوعة بـ (الفاء)، ومرتين بـ(ثم)؛ وذلك للتأكيد علىٰ استمراره في الأخذ بالأسباب الظاهرة والخفية؛ لبلوغ الغايات والأهداف التي سعىٰ إليها حيث آتاه الله من كل شيء سببًا، مما يصور الهمة العالية، والعزيمة القوية، التي تأخذ الأمور بجدٍ، دون تقاعس، أو تكاسل.

وهكذا نجد القرآن الكريم قد نوع في استخدام التوكيد، فأكد معانيه بطرق متعددة تقريرًا للمعاني في النفوس، وتثبيتًا لها في الصدور.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولىٰ والآخرة، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد:

فيطيب لي في خاتمة هذه الدراسة أن أؤكد علىٰ بعض الحقائق التي ذهب إليها المتقدمون وصولًا إلىٰ النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. أن القرآن الكريم مشحون في كثير من سوره وقصصه بالعواطف والانفعالات، حيث كشفت الدراسة عن دلالات نفسية كثيرة تفوح بها قصة ذي القرنين.

٢. أن الوقوف علىٰ الدلالات النفسية في النص القرآني يعد كشفًا لوجه من وجوه الإعجاز القرآني، فلا يمكن أن يتجه للباحث طريق الإعجاز المطلق للقرآن الكريم، أو يستقيم عليه، إلا إذا تدبر القرآن علىٰ تلك الوجوه النفسية وقلب ألفاظه ومعانيه.

٣. للمفسرين دور بارز في إظهار بعض الدلالات النفسية لنصوص القرآن الكريم، حيث وردت بعض الإشارات إلىٰ هذا الجانب في ثنايا حديثهم.

٤. كشفت الدراسة عن أهمية معايشة إيحاءات النص وظلاله، من خلال دراسة بعض الكلمات ذات المقدرة الخاصة علىٰ الإيحاء نظرًا لشفافيتها.

٥. أثبتت الدراسة أهمية الإحاطة والإلمام بالجو العام للقصة، ومناسبتها لما قبلها؛ لما له من أثر في الكشف عن الدلالات النفسية.

٦. كشفت الدراسة عن العلاقة بين أصوات الألفاظ ومدلولاتها في آيات القصة، بحيث يحاكي الصوت المعنىٰ، بما يحمله من دلالات إيحائية تتلاءم وصفة

الصوت فتتناسب مع السياق القرآني من جهة، والمقام الذي ترد فيه من جهة أخرىٰ.

٧. كشفت الدراسة أن للمقاطع الصوتية دور كبير في الكشف عن الدلالات النفسية، حيث تنوعت في القصة لتحاكي الجوانب النفسية المتباينة.

٨. للفاصلة أهمية كبرىٰ في الكشف عن الدلالات النفسية في آيات القصة، فلا ينحصر دور الفاصلة في تحقيق التناسق والانسجام الصوتي.

٩. تعدد الفواصل في قصة ذي القرنين، فجاءت محاكية للمعاني النفسية والعاطفية.

١٠. اختتمت فواصل آيات القصة بصوت المد (الألف)، فجاء معبرًا بصفاته عن الجوانب النفسية المتباينة في القصة أنسب تعبير.

١١. تنوع الأساليب في قصة ذي القرنين، ما بين شرط، واستفهام، ونداء، ولكل منها دلالته في الكشف عن المعاني النفسية والعاطفية.

١٢. للألفاظ دور كبير في الكشف عن كثير من الحقائق المتعلقة بالنفس الإنسانية.

١٣. للصيغ الصرفية دلالات وظيفية تختص بها كل صيغة عن غيرها، وتساهم في الكشف عن الدلالات النفسية.

١٤. لحروف المعاني أثر كبير في الوقوف علىٰ الجوانب النفسية في القصة، حيث تعددت حروف المعاني، وتنوعت في القصة، كما بينت الدراسة أهمية استعمالها، وأسباب إيثار بعضها في مواضع دون بعض، وما له من دلالات نفسية، كما في إيثار استعمال السين في مواضع وسوف في مواضع أخرىٰ.

١٥. تعدد طرق التوكيد وتنوعه في الجمل الخبرية في قصة ذي القرنين مما ساعد علىٰ الكشف عن الدلالات النفسية التي تكمن خلف هذا الأسلوب.

١٦. إن القول بالدلالة النفسية لا يتنافى مع وجود دلالات أخرى، حيث تتعاضد الدلالات جميعها في الكشف عن المعنى.

١٧. للتكرار دور كبير في الوقوف على الجوانب النفسية والعاطفية، حيث كشفت الدراسة عن الأسرار النفسية التي تكمن خلف تكرار بعض الألفاظ، والتراكيب، نحو تكرار لفظ (رب)، وتركيبي (وعد ربي)، و(أتبع سببا).

١٨. لم يتجاوز القرآن ذكر ذي القرنين بأكثر من لقبه المشتهر به إلى تعيين اسمه وبلاده وقومه، واقتصر على ما يفيد الأمة من هذه القصة من عبر وعظات.

١٩. تضافر الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية لإظهار الدلالات النفسية والعاطفية في آيات القصة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ثبت بأهم المصادر والمراجع:

١. الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، خالد بن حامد الحازمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد (١٢١)، السنة (٣٥) ١٤٢٤هـ.
٢. الاتقان في علوم القران، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
٣. أدوات الإعراب، ظاهر شوكت البياتي، دار مجد، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥ هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٦. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه إعرابه، عبد الكريم محمود يوسف، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، مطبعة الشام.
٧. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٥م.
٨. الأصوات اللغوية، محمد علي الخولي، دار الفلاح-عمان الأردن ١٩٩٠م.
٩. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥ م.
١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ

١١. أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفىٰ: ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.
١٢. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفىٰ: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
١٣. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفىٰ: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية.
١٤. بنية التشكيل الصوتي للآيات الواصفة لعباد الرحمن، مجلة كلية العلوم الإسلامية
١٥. تاريخ آداب العرب، مصطفىٰ صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفىٰ: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي.
١٦. التجويد والأصوات، إبراهيم محمد نجا، ص ٧٦، دار الحديث- القاهرة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
١٧. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفىٰ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية – تونس١٩٨٤ هـ.
١٨. التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبدالله محمد الجيوسي، دار الغوثاني دمشق، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.
١٩. التعبير القرآني، د/ فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير- بيروت، الطبعة الثالثة١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.
٢٠. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفىٰ: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢١. تفسير السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ،
٢٣. تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
٢٤. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.
٢٥. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: ٧٧٨ هـ)، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨.
٢٦. التهذيب، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.
٢٧. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : ٧٤٩هـ)، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي، الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٢٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م.
٣٠. الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
٣١. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي(المتوفى: ١٣٦٢هـ) ، المكتبة العصرية، بيروت.
٣٢. حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.
٣٣. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة، الطبعة: الرابعة.
٣٤. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.
٣٥. الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث ، حسام البهنساوي، زهراء الشرق- القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٣٦. دراسات في علم الأصوات، حسام البهنساوي، ابن رشد- الفيوم.
٣٧. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد

شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٨. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣٩. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي،

٤٠. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤١. شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١هـ)، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض.

٤٢. شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٣. شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٤. شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م.

٤٥. شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣

٤٦. الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.
٤٧. علم الأصوات، دكتور كمال بشر، دار غريب – القاهرة ٢٠٠٠م.
٤٨. علم الدلالة أحمد مختار عمر، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٩٨م.
٤٩. علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، عمان ١٤١٨هـ.
٥٠. علم الصوتيات ، د/ عبد العزيز علام، وعبد الله ربيع، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٤م.
٥١. علم اللغة النفسي في التراث العربي، د/ جاسم علي جاسم، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٥٤ .
٥٢. علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، د/ جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية- الإسكندرية.
٥٣. علم اللغة النفسي، عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٥٤. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران ، دار الفكر العربي، الطبعة: الثانية - القاهرة ١٩٩٧ .
٥٥. علم النفس اللغوي، د/ نوال محمد عطية، المكتبة الأكاديمية – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٩٥م.
٥٦. عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، د/ عبد العزيز علام، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
٥٧. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الهلال.

٥٨. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
٥٩. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة القاهرة – مصر.
٦٠. الفكر الصوتي عند العرب دراسة تحليلية، عبد المنعم عبد الله محمد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٦١. فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، السيد خضر، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٩م.
٦٢. في اللهجات العربية، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثامنة ١٩٩٢م.
٦٣. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٦٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٦٥. الكناش في فني النحو والصرف، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢ هـ)، تحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ٢٠٠٠م.
٦٦. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

٦٧. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٦٨. اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، دار النهضة العربية، الطبعة الأولىٰ.
٦٩. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار عمار – الأردن، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.
٧٠. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٦م.
٧١. مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مصطفي مسلم، دار القلم – دمشق الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٧٢. مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر – دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٧٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفىٰ: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤٢٢هـ.
٧٤. مدخل إلىٰ تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، دار القلم / دار الشامية – دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.
٧٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفىٰ : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢٠ هـ.
٧٦. معاني الأبنية في العربية، د/ فاضل صالح السامرائي، دار عمار- الأردن، الطبعة الثانية١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٧٧. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٠ م.

٧٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٧٩. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفىٰ: ٧٦١هـ)، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.
٨٠. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفىٰ: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٨١. المفردات في غريب القران، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانىٰ (المتوفىٰ: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٢ هـ.
٨٢. المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفىٰ: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٣م.
٨٣. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفىٰ: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٨٤. ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفىٰ: ٧٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٨٥. من الصوت إلىٰ النص، مراد عبد الرحمن مبروك، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولىٰ١٩٩٣م.
٨٦. من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفىٰ: ١٣٨٤هـ)، نهضة مصر – القاهرة ٢٠٠٥.

٨٧. مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية.
٨٨. النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨ هـ)، دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.
٨٩. النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجي، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م.
٩٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٩١. النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، تحقيق: د/ محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف – مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.
٩٢. نهاية القول المفيد، محمد مكي نصر، طبعة الحلبي ١٣٤٩هـ.
٩٣. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.